

الفكر الأخلاقي الإسلامي

دراسة مدخلية إلى تنوع الدراسات الأخلاقية
عند علماء المسلمين

الفكر الأخلاقي الإسلامي

توطئة:

هذه المقالة، "الفكر الأخلاقي الإسلامي"، مقالة معدلة ومزيدة ومراجعة وموسعة، خرجت من صلب مقالين سابقين. كانت الأولى منهما "المتكلمون الإسلاميون وجدلية العقل والنقل في الأحكام الأخلاقية"^(١) لقد كتبت تلك المقالة استجابة لطلب كريم من الأخوة في الدائرة الفلسفية بمركز التنوير المعرفي بالخرطوم. ذلك أن الدائرة قد دعت مجموعة من المفكرين السودانيين للكتابة في مشروع "العقل والعقلانية في الفكر الإسلامي" وكان حظي في دعوة الاستكتاب هذه أن أكتب في محور "العقلانية في المقولات الأخلاقية والجمالية" وقد اخترت الكتابة في الشق الأول من المحور - الشق الأخلاقي - تاركاً الشق الآخر - الشق الجمالي - لأهل الإبداع الفني والتشكيلي.

إما الورقة الثانية التي خرج من صلبها مقالنا هذا - الفكر الأخلاقي الإسلامي - فكانت بعنوان "الأخلاق بين الفلاسفة الغربيين والأصوليين المتكلمين المسلمين"، دراسة تحليلية مقارنة"^(٢). وقد نشرت المقالة مع مجموعة مقالات أخرى في كتاب "الأخلاق السودانية من منظور الآخر" (رؤية نقدية من واقع نموذج نوردنستام). ومجموعة مقالات الكتاب كانت تسعى لتقويم عمل الأستاذ الدكتور نوردنستام. كما جاء في كتابه "الأخلاق السودانية" Sudanese Ethics. وترجم الكتاب إلى اللغة العربية المرحوم الدكتور أحمد علي المهدي، طيب الله ثراه.

غير أن المقالة التي بين أيدينا "الفكر الأخلاقي الإسلامي" تعالج المقولات الأخلاقية تحت خمسة مباحث:

المبحث الأول: هو مبحث "علم الكلام" فأخبرت المقالة بجملته ما فيه من معنى اسمه وموضوعاته وتطوره.

المبحث الثاني: هو مبحث "العقل والنقل" فبينت معاني هذين اللفظين وترتيبهما في السلم المعرفي عند المتكلمين وبيان موقف أصحاب الفرق الإسلامية منهما.

المبحث الثالث: هو مبحث الألفاظ الأخلاقية الأساسية وشرح معانيها تحت مفهومي اللغة والاصطلاح.

المبحث الرابع: يوضح تنوع كتابات العلماء المسلمين من متكلمين وفلاسفة ومتصوفة في مبحث علم الأخلاق وما في هذه الكتابات من إبداع وثراء.

المبحث الخامس: هو مبحث النظرية الأخلاقية Moral Theory المتوفرة للعلماء المسلمين وخاصة المتكلمين منهم ، وقارنا بينهم من حيث الأسس grounds التي تقوم عليها نظرياتهم والدفعوعات المقدمة من علماء الكلام لتبرير النظرية الأخلاقية Theory of Justification تبريراً معرفياً.

المبحث الأول : علم الكلام

علم الكلام^(٣) هو العلم الذي أفرزته الفرق الإسلامية من شيعة^(٤) ، وخوارج^(٥) ومرجئة^(٦) ، قدرية^(٧) ، وجهمية^(٨) ، ومعتزلة^(٩) وأشاعره^(١٠) وغيرهم^(١١) من أصحاب الفرق في جدالهم مع مخالفينهم^(١٢) من أصحاب الفرق والنحل الأخرى أو في الخلاف بين أصحاب الفرق الواحدة^(١٣).

إن أقدم تعريف لهذا العلم هو ما أورده الفيلسوف الإسلامي أبو نصر الفارابي^(١٤) (٢٣٩هـ/٩٥٠م) ، المعروف والمشهور بالمعلم الثاني في كتابه القيم "إحصاء العلوم" وفيه يقول: "وصناعة الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرته الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقوال"^(١٥).

ولكن تعريف علم الكلام الأكثر شهرة وشيوعاً هو ما ذكره ابن خلدون^(١٦) (٨٠٨هـ/١٤٠٥م) في سفره العظيم "المقدمة" إذ يقول:

"والكلام يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعين في الاعتقاد عن مذاهب السلف وأهل السنة"^(١٧) ، إلا أن أوسع ما لدينا من تعريف لعلم الكلام هو ما أورده علي بن التهانوي صاحب "كشاف اصطلاحات العلوم" - الذي جمع في كشافه جميع ما قيل في هذا الفن من تعريفات^(١٨) ، كذلك فإن أول ما ورد من لفظ "علم الكلام" كان في القرن الثالث الهجري^(١٩) وأقدم وثيقة في هذا العلم ترجع إلى أواخر القرن الأول الهجري^(٢٠).

ولعلم الكلام عدة أسماء: فهو علم أصول الدين ، وعلم التوحيد ، وعلم الاستدلال والنظر، وعلم العقيدة ، وعلم الصفات ، وعلم الفقه الأكبر^(٢١).

١ / الكلام هو علم أصول الدين:

إن أصل الاعتقادات الإسلامية متمثلة في قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) سورة النساء {١٣٦} . فعلم أصول الدين هو العلم الأعلى الذي تنتهي إليه جميع العلوم الشرعية، كما أن مبادئه غير مبنية على علم آخر، سواء كان ذلك العلم علم شرعي أو غير شرعي، وصحة العلوم الشرعية الأخرى مبنية على علم أصول الدين، ذلك أنه ما لم يثبت وجود صانع قادر، عالم، مُكَلَّف، مرسل للرسول، مُنَزَّل للكتب السماوية لم يتصور علم تفسير ولا فقه ولا أصوله؛ فكل هذه العلوم موقوفة في صحتها على علم أصول الدين ومقتبسة منه وقائمة عليه. فعلم أصول الدين إذن مهيم على غيره من المعارف الدينية. وعلم أصول الدين يتعلق، كما هو واضح من اسمه، بالأحكام الشرعية الأصلية وذلك مثل الإقرار بوجود الخالق ووحدانيته وعلمه وقدرته ومشيتته وعظمته، وكذلك يتضمن علم أصول الدين الإقرار بالثواب والعقاب والرسول وسائر المسائل الاعتقادية التي دل الشرع على أدلتها العقلية وهي الأصول التي تعرف عن المتكلمين بالعقليات. ودائماً ما يقارن علم أصول الدين، المعروف عند البعض بالفقه الأكبر كما سماه الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان^(٣٢) (١٥٠هـ/٦٧٧م)، مع فقه العبادات -الفقه الأصغر- وهو العلم الذي يتعلق بالأحكام الشرعية الفرعية العملية المأخوذة من أدلتها التفصيلية^(٣٣).

ب/ علم الكلام هو علم التوحيد:

وأما أن علم الكلام هو علم التوحيد ذلك لأن التوحيد هو اللبنة الأولى التي بني عليها الدين، وهي الإقرار بوحدانية ألوهيته وربوبيته تعالى، وهي المتمثلة في شعار الإسلام "لا إله إلا الله وحده لا شريك له". والتوحيد هو رسالة السماء إلى الأرض منذ لدن آدم إلى يوم الدين. والتوحيد في اللغة هو الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد^(٣٤)، وفي اصطلاح المتكلمين هو الإقرار بوحدانيته تعالى ونفي الأنداد والشركاء والصاحبة والولد عنه. والتوحيد على ثلاث مراتب: وهي إفراد الله بالربوبية والألوهية وكمال الأسماء والصفات^(٣٥)، فتوحيد الربوبية هو توحيد الله بأفعاله مثل الخلق والرزق وتدبير الأمر والإحياء والإماتة ونحو ذلك؛ فلا خالق إلا الله (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) (سورة الزمر {٦٢})، ولا رازق إلا الله (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي

الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرُّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (سورة هود {٦٠}) ، ولا محي ولا مميت إلا الله (هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (سورة يونس {٥٥}) .
وتوحيد الربوبية أقرب به الكافرون ولكنه لم يدخلهم الإسلام. قال الله تعالى
حَاكِياً عَنْهُمْ: (وَلَيْتَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (سورة لقمان، {٢٥}) .

أما توحيد الألوهية فهو صرف جميع أنواع العبادة لله وحده وذلك مثل الدعاء ،
والتوكل والاستعانة والاستعانة (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (سورة غافر {٦٠}) ، وقال تعالى:
(وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (سورة المائدة {٢٣}) ، وقال تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (سورة الفاتحة {٥}) وتوحيد الألوهية ، لا توحيد الربوبية ، هو ما أنكره
الكفار قديماً وحديثاً وقال الكافرون: (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ
(سورة ص {٥})

أما توحيد الأسماء والصفات فهي الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم
والأحاديث النبوية الصحيحة من أسماء الله وصفاته التي وصف الله بها نفسه أو وصفه
بها نبيه (وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا
كَانُوا يَفْعَلُونَ) (سورة الأعراف، {١٨٠}) ، وقال تعالى: (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ
أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) (سورة الإسراء {١١٠}) ، (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى) (سورة طه، {٨}) وهي التسع وتسعون اسماً الوارد بها الحديث^(٣٦) .

وكما أن الله واحد في أسمائه فهو كذلك واحد في صفاته بمعنى أن لا أحد من
المخلوقين له مثل صفاته تعالى لأن صفاته تعالى قديمة فيما لم يزل، وصفات غيره
مخلوقة محتاجة إليه. فله تعالى الصفات الذاتية أو النفسية التي يوصف بها ولا يوصف
بضدها مثل القدرة والعزة والعظمة ، وله الصفات الفعلية وهي ما يجوز أن يوصف الله
بضدها كالرضاء والرحمة والسخط والغضب ، وله الصفات الجمالية وهي ما يتعلق
باللطف والرحمة ، وله كذلك الصفات الجلالية وهي التي تتعلق بالقهر والعظمة والقوة
والسلطة^(٣٧) وكل هذه الصفات تطلق على الله بالإطلاق Absolutely وبالمقابل لغيره
صفات ذات ، وصفات أفعال ، ولكنها ليست بإطلاق.

ج/ علم الكلام هو علم الاستدلال والنظر:

وأما أن علم الكلام هو علم الاستدلال والنظر^(٢٨) ذلك لأن الاستدلال والنظر هما من المناهج التي يستعين بها المتكلم على توضيح قضايا العقيدة. والقرآن نفسه يدعو للنظر والتفكير^(٢٩) والتفقه^(٣٠) والتدبر^(٣١) والتفكير^(٣٢) وكلها أساليب مفضية للعلم الحق، يقول الله تعالى حاثاً عباده للنظر: (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدَرٌ أَقْشَرُ مِنْهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} ١٨٥) سورة الاعراف كذلك قوله: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا) (سورة فاطر {٤٤}) والنظر هنا هو التأمل والتفكير.

ويحث القرآن الناس ويدعوهم للتفكير والتأمل وللتفرقة بين العلم والجهل، إذ يقول تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) سورة الانعام {٥٠} والأعمى هنا هو الكافر والبصير هو المؤمن^(٣٣)، ويقول الله تعالى: " (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكَّرُونَ) (سورة الروم: {٢١}) والتفكير المطلوب هنا هو التفكير في صنع الله.

وفي الحث على التفقه والحض عليه يقول تعالى: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ) من السماء كالحجارة والصيحة (أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) كالخسف (أَوْ يَلْبِسَكُمْ) يخلطكم (شيعاً) فرقاً مختلفة الأهواء (وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) بالقتال (انظر كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ) أي نبين الدلالات على قدرتنا (لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) يعلمون إن ما هم عليه باطل. الآية الكريمة من سورة الانعام، آية رقم {٦٥} وفي نفس معنى التفقه يقول تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نُقِرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) التوبة {١٢٢}).

والله يدعو عبادة لتدبر القرآن الكريم وتأمل معانيه وتبصر ما فيه من الآيات والحكمة (كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ) سورة ص، {٢٩} بل يعيب القرآن ويذم غير المتدبرين منهم (أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) سورة محمد {٢٤} أي هلا يتأملون القرآن ليعرفوا الحق، بل على قلوبهم (عقولهم) فلا يفهمون معانيه بل الكفار يوم القيامة يعترفون بتقصيرهم في التأمل والتدبر (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) سورة الملك {١٠} أي لو كنا نسمع سماع تفهم^(٢٤) وتدبر وتأمل ما كنا فيما نحن فيه . وصدق الله حين يقول: (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) سورة الأنعام {٣٦} يسمعون سماع تفهم واعتبار - والموتى هنا - ، الكفار . وفي السمع والتدبر العظة والاعتبار في فهم تاريخ الأمم السابقة وما حل عليها من النعم والنقم، يقول الله تعالى: (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ) سورة السجدة {٢٦} ،

ويثني القرآن على المتدبرين المتأملين ويرفع من شأنهم ويعلي من قدرهم فهم إذا ذكروا بالقرآن وآياته خروا له سامعين ناظرين و(لَمْ يَخْرُجُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) سورة الفرقان {٧٣} .

المبحث الثاني : العقل والنقل

العقل مأخوذ من عقل البعير، يمنع ذوي العقول من العدول عن سواء السبيل^(٣٥)، إذن العقل هو الحجر والنهي وهو ضد الحمق. أما في اصطلاح العلماء والفلاسفة، فالعقل جوهر روحاني خلقه الله متعلقاً ببدن الإنسان، وقيل العقل: نور في القلب يعرف الحق والباطل، وقيل: العقل جوهر مجرد من المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف^(٣٦). أما عند الإمام ابن حزم^(٣٧) (٤٥٥هـ/١٠٦٣م) فيعرف العقل بقوله: "العقل قوة تميز بها النفس جميع الموجودات على مراتبها أو تشاهد بها ما مر عليه من صفاتها الحقيقية لها فقط وتنفي بها عنها ما ليس فيها، فهذه حقيقة حد العقل^(٣٨) وقيل أيضاً: العقل قوة للنفس الناطقة وهو صريح بأن القوة العاقلة أمر مغاير للنفس الناطقة وأن الفاعل في التحقيق هو النفس، والعقل آلة لها بمنزلة السكين بالنسبة إلى القاطع، وقيل: العقل والنفس والذهن واحد، إلا أنها سميت عقلاً لكونها مدركة، وسميت نفساً لكونها متصرفة وسميت ذهناً لكونها مستعدة للإدراك^(٣٩).

ويرى الإمام أبو حامد الغزالي^(٤٠) (٥٠٥/١١١١م) إن العقل ينقسم إلى قسمين: غريزي ومكتسب، فالغريزي هو القوة المستعدة لقبول العلم ووجوده في الطفل كوجود النحلة في النواة، والمكتسب، المستفاد الذي يحصل من العلوم، أما من حيث لا يدري كفيضان العلوم الضرورية عليه بعد التمييز من غير معلم، وإما من حيث يعلم مدرّكه وهو التعلم^(٤١).

والقرآن الكريم في آيات كثيرة يتحدث عن العقل كوسيلة من وسائل المعرفة، ولكن القرآن لا يشير إلى العقل كجواهر أو ذات Entity كما وصفه الفلاسفة والفقهاء، أي ذات قائمة بذاته مستقل عن غيره، بل إن كلمة "عقل" لم ترد في القرآن الكريم أصلاً ولكنها وردت بصيغة الفعل، مثل (يعقلون، تعقلون، يعقلها، عقلوا، عقلوه، نعقل)^(٤٢) وكلها تشير إلى الفهم والتفقه والتدبر والإدراك والنظر والاعتبار والتأمل.

وبالمقابل يطلق العلماء المسلمون لفظ "النقل" أو "السمع" على ما صح من الكتاب والسنة وهو كل ما نقل نقلاً متواتراً (نقل جماعة عن جماعة يؤمن تواترهم علي الكذب). والنقل بجانب هذين المصدرين يشمل الإجماع والقياس. ويقابل الدليل النقلي

الدليل العقلي فمن المعارف ما لا يدرك إلا عقلاً وهل كل قاعدة في الدين يتقدم العلم بها على العلم بكلام الله تعالى وما يسبق ذلك في الترتيب كالعلم بكونه متكاملاً فإن ذلك يستحيل ثبوته بالسمع والمسائل السمعية أو النقلية لا يجوز العلم بها إلا بعد إثبات أن الله متكلم وأنه صادق في خبره وأن الرسول معصوم من الكذب وأنه مؤيد بدلائل صدقه من المعجزات والآيات وهذه كلها يكون الطريق إلى العلم بها العقل وليس السمع ، فالعقل مقدم في هذه المراتب وأصل لها ولا يجوز تقدم السمع عليه في ذلك لأنه متفرع منه ولا يجوز تقديم الفرع على أصله^(٤٣).

ويرى المتكلمون عموماً أن دليل النقل لا يجوز الأخذ به كبرهان مستقل في الاستدلال إلا إذا خلا من المعارض العقلي ذلك لأن أدلة السمع إذا كانت قطعية الثبوت وللتأويل^(٤٤) فيها مدخل لا سبيل إلى القطع بأنها قطعية الدلالة^(٤٥).

ولكن الصياغة النهائية لقانون التأويل قام بها فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ/١٠٢٩م) يقول الرازي: (إذا تعارض السمع والعقل فإما أن يجمع بينهما وهو محال لأنه جمع بين النقيضين ، وإما أن يردا وهو محال أيضاً لأنه رفع للنقيضين ، وإما أن يقدم السمع على العقل وهو محال لأن العقل أصل السمع ، فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحاً في العقل الذي هو أصل السمع والقدح في أصل الشئ قدح فيه ، فكان تقديم السمع قدح فيه وفي العقل فوجب تقديم العقل ثم النقل إما يؤول أو يفوض^(٤٦)).

وبهذا اتفق الأشاعرة مع خصومهم التقليديين ، المعتزلة ، على الأخذ بمنهج التأويل لآيات الصفات^(٤٧) وعدم الاعتداد بالدليل النقلية إذا عارضه معارض عقلي وقد قال بذلك إمام الحرمين الجويني صراحه "ذهب بعض أئمتنا إلى أن اليدين والعينين والوجه صفات ثابتة للرب تعالى والسبيل إلى إثباتها السمع دون قضية العقل و الذي يصح عندنا حمل (تأويل) اليدين على القدرة وحمل العينين على البصر وحمل الوجه على الوجود^(٤٨) وهو بذلك يشير إلى الآيات الواردة في قوله: (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ) (سورة النحل: ٧٥)، وقوله تعالى: (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) القمر الآية [١٤٤] وقوله: (وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ {٢٧}) سورة الرحمن ، وبذلك خالف الجويني مشايخه السابقين الذين يرون أن هذه الصفات الخيرية صفات ثابتة للرب تعالى^(٤٩).

والجويني على وجه الخصوص يشدد في موقفه الداعي لأعمال التأويل في نصوص النقل يقول: فإن قيل هلا أجريتم الآية (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (سورة طه: الآية ٥) على ظاهرها من غير تعرض لتأويل مصيراً إلى أنها من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله، قلنا أن رام السائل أجراء الاستواء على ما تبيء عنه في ظاهر اللسان، وهو الاستقرار، فهو إلتزام للتجسيم، وأن تشكك في ذلك كان في حكم المصمم على اعتقاد التجسيم، وإن قطع باستحالة الاستقرار، فقد زال الظاهر، والذي دعا إليه من إجراء الآية على ظاهرها لم يستقم له، وإذا أزيل الظاهر قطعاً فلا بد بعده من حمل الآية على محمل مستقيم في العقول مستقر في موجب الشرع. والإعراض عن التأويل حذاراً من مواقف محذور في الاعتقاد يجر إلى اللبس والإيهام واستزال العوام وتطريق الشبهات إلى أصول الدين، وتعريض بعض كتاب الله تعالى لرجم الظنون^(٥٠).

وبالرغم من هذه التأكيدات الكثيرة التي تعلي من شأن العقل عند علماء الكلام الإسلاميين إلا أن تراجعاً عن هذه المواقف قد سجل عليهم وفي إزمان متفاوتة. فقد بدأ الإمام أحمد بن حنبل^(٥١) (٢٤١هـ / ٨٥٥م) هذه الحملة في المناظرة التي جرت بينه وبين القاضي أحمد بن أبي دؤاد^(٥٢) المعتزلي، قاضي الدولة العباسية حينئذ وذلك في حضرة الخليفة المعتصم (٢٢٧هـ / ٨٤١م) حيث قال الأمام "لست أنا صاحب كلام وإنما مذهبي الحديث" وذلك رداً على سؤال القاضي هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق^(٥٣)؟

ويحسب على متكلمي الأشاعرة علي وجه الخصوص تراجعهم عن مواقفهم السابقة التي قدموا فيها العقل على النقل وبخاصة الجويني والغزالي والشهرستاني^(٥٤) والفخر الرازي. إن هؤلاء المتكلمين قد عادوا في آخر حياتهم لمذهب السلف واعتبروه أسلم المذاهب وأقربها إلى مراد الله. وينسب إلى الإمام الجويني قوله:

لقد جلت أهل الكلام جولة، وعلومهم وركبت البحر الأعظم وغصت في الذي نهوا عنه كل ذلك في طلب الحق وهرباً من التقليد والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز فإن لم يدركني الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز، ويختم على عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الإخلاص فالويل لابن الجويني. وكان يقول لأصحابه: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، لو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلته به^(٥٥).

ومما هو قريب من كلام أبي المعالي الجويني كلام تلميذه أبي حامد الغزالي إذ يقول: "ثم أني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته وطالعت كتب المحققين منهم وصنفت منه ما أردت أن أصنف وصادفته علماً وافياً بمقصوده غير واف بمقصودي ... فلم يكن الكلام في حقي كافياً ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافياً ، فلم يحصل منه ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة"^(٥٦). إذن لم يحس الغزالي في هذا العلم العقلي اليقين ولا الأمان النفسي ، لا في أدلته ولا براهينه ، فلجأ آخر حياته إلى أهل التصوف والكشف فوجد "أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين علي أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلاً فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهريهم وباطنيهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة نور يستضاء به"^(٥٧).

وقال عبد الكريم الشهرستاني صاحب "الملل والنحل" و"نهاية الإقدام في علم الكلام" معبراً عن حيرته:

لقد طُفْتُ في تلك المعاهد كلها وسيرتُ طرقي بين تلك المعالم
فلم أرَ إلا واضعاً كَفَّ حيرةً على ذقنٍ أو قارعاً سنَّ نادماً
ورجع كذلك الفخر الرزاي أكبر المحامين والمدافعين عن التأويل وقال في الطور الأخير من حياته:

"لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي غليلاً ولا تروي غليلاً ورأيت أقرب الطرق طرق القرآن، أقرأ في الإثبات {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (سورة طه: ٥) {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} (سورة فاطر: ١٠) وأقرأ في التنفي {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الشوري: ١١) ، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي، هذا هو الرازي أكثر الأشاعرة إيفالاً في العقلليات ومؤلف قانون

التأويل في صياغته النهائية يقلع تماماً في آخر حياته عن التأويل ويركن للدليل النقلي مصدراً لليقين ويتحسر على زمانه وما مضى منه إذ يقول:

نهاية إقدام العقول عقلاً وأكثُر سعي العالمين ضلالاً
وأرواحنا في وحشة من جسمنا وحاصل دنيانا أذى وويل
ولم نستفيد من بحثنا طول عمُرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وهكذا رأينا أحوال كثير من المتكلمين يؤثرون في آخر عمرهم جانب السلامة (في الدين) حيث لم يحصل لهم اليقين في مسلكتهم الكلامية والفلسفية، إذ ليس من وراء ذلك التعقل والتفلسف إلا الاحتمال والجائز.

المبحث الثالث : مصطلحات البحث الأساسية

إن أول ما ينبغي عمله في دراسة أي علم من العلوم التعريف بذلك العلم وموضوعه وغايته وجدوى دراسته وحاجة الناس إليه. وإذا نظرنا إلى علم الأخلاق نجد أن هنالك جدوى كبيرة في دراسة سلوك الإنسان والغاية التي ينبغي أن ينتهي إليها وأن حاجة الفرد والمجتمع في تربية الأفراد والجماعات على القيم الإنسانية لا تتكرر.

وكذلك ينبغي في دراسة أي علم من العلوم التعريف بمصطلحات العلم ومفاهيمه الأساسية ذلك لأن المفاهيم تحتل في البناء الفكري لأي نسق معرفي موضع اللبنة الأولى لحجر الأساس. ونظراً لأهمية المفاهيم الأساسية وخطورتها في إحداث التغيرات الفكرية فإن توضيحها يأتي في أولويات أي بحث ذلك أن من أهم الفوائد التي يجنيها الفكر من هذا الاتجاه هو إلزام المشتغلين بالفكر بالتحديد الدقيق لكل ما يعرضونه من مفاهيم وأفكار وضبط مصطلحاتهم وشرح مفاهيمهم والذي لا شك فيه أن تحديد معاني الألفاظ الأساسية لأي علم من العلوم هو العاصم من التيه في عالم الأفكار والنظريات.

وقد جرت العادة عند العلماء المسلمين أن تخضع تعريف الألفاظ الأساسية إلى مفهومين أساسيين هما: مفهوم اللفظ في اللغة ومفهومه في الاصطلاح.

فالأول يراد به معنى اللفظ في ظاهر اللغة وبالثاني يراد اتفاق أهل فن على تسمية الشيء باسم ما ينقله من موضعه الأول - المعنى في اللغة - لموضع آخر^(٥٨). أو إنه إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى معنى آخر لمناسبة بين المعنيين، وقيل الاصطلاح: لفظ معين بين قوم معينين^(٥٩).

تعريف الخلق لغة:

والخلق بضم اللام وسكونها على عدة معاني: منها الدين والمروءة، والطبع والسجية، والشيمة، والعادة. وفلان (يتخلق) بغير خُلقة أي يتكلفه. و(الخلق) بفتح الخاء النصيب ومن قوله تعالى: (وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ) (سورة البقرة) {٢٠٠}. وملحفة خلق وثوب خلق أي بال ويستوي فيه المذكر والمؤنث^(٦١). وورد لفظ "خلق" في القرآن الكريم مرتين: أحدهما قوله تعالى (إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولِينَ) (سورة الشعراء) {١٣٧} والثانية (وَلَيْكُ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) سورة القلم {٤} وذلك بمعنى السنة والعادة للآية الأولى والدين للآية الثانية^(٦٢).

والخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر منها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خلق حسناً وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة خلقاً سيئاً. وإنما قلنا "أنه هيئة راسخة" لأن من يصدر عنه بذل مال على التدور بهيئة عارضة لا يُقال خلقه السخاء ما لم يثبت في نفسه، كذلك من يتكلف السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يُقال خلقه الحلم. وليس الخلق عبارة عن الفعل فربما شخص خلقه السخاء فلا يبذل إما لفقد المال أو لمانع وريما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء^(٦٣).

كما يطلق لفظ الأخلاق على جميع ما يصدر للإنسان من عمل سواء كانت ذلك العمل حسناً أم قبيحاً محموداً كان أو مذموماً كريماً أم سيئاً، ولربما استعمل اللفظ للألفاظ الفاضلة فقط كأن تقول أخلاق العلماء والمتأدبين أي ما هو واجب عليهم وما ينبغي أن يؤدوه من التصرفات الحسنة ويستخدم لفظ الأخلاق عند الفلاسفة على مستويين أحدهما: وصفي Descriptive ، غير أخلاقي Non-Moral ، وآخر معياري Normative & Prescriptive^(٦٤). وربما تعلق اللفظ عندهم بالفضائل والردائل وأول من نحى هذا الأسلوب هو الحكيم اليوناني أرسطوطاليس^(٦٥) (٢٢٢ ق.م) في كتابه "أخلاق نيقومخيا" وتابعه عليه الفلاسفة المسلمون من أمثال الفارابي^(٦٥)

(٣٣٩هـ/٩٥٠م)، وابن سينا^(٦٦) (٤٢٨هـ/١٠٣٧م)، وابن مسكويه^(٦٧) (٤٢١هـ/١٠٣٠م) وانتقل التعريف من الفلاسفة إلى الفقهاء المسلمين من أمثال الراغب الأصفهاني^(٦٨) (٥٠٢هـ/١١٠٩م)، وأبي حامد الغزالي^(٦٩) (٥٠٥هـ/١١١١م). يقول الغزالي: "الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال من غير فكر وروية"^(٧٠).

المبحث الرابع : كتابات المسلمين في الأخلاق

إن أول ما يمكن أن نشير إليه في مجال كتابات الإسلاميين في الأخلاق هو تنوع المؤلفات والنظريات الأخلاقية وكذلك ضخامة الإنتاج الأدبي في مجال الخلقيات. ومما يؤسف له أن هذا الإنتاج الضخم لم يجد حظه بعد في الدراسة والشرح والتعليق والتحليل عند المعاصرين. والإنتاج الأدبي في مجال الخلقيات ينقسم عند المحققين^(٧١) من علماء هذا الفن إلى قسمين: هما الأدب الخلقي والفكر الخلقي: أما الأدب الخلقي ففيها المصنفات الكثيرة التي وضع جامعوها فيها ذخيرة أدبية ذات طابع حكومي اقتبسوها من مصادر متنوعة بعضها عربي وبعضها أعجمي ثم أضافوا إليها شيئاً من تأملاتهم وملاحظاتهم الخاصة. وجميع هذه المصنفات تتسم بالقدرات البيانية والبلاغة العالية مما ساعد في ظهور هذا العلم وانتشاره في أوساط الفقهاء والأمراء وجمهور المتعلمين.

إن من أقدم مصنفات الأدب الخلقي ما هو منسوب إلى الكاتب والمترجم عبد الله بن المقفع^(٧٢) (١٤٢هـ/٧٥٩م) وذلك مثل ما ورد في كتابه "الأدب الكبير" و"الأدب الصغير" ثم هنالك مصنفات أبي الحسن العامري^(٧٣) (٣٨١هـ/٩٩٢م) مثل "كتاب السعادة والإسعاد" و"كتاب الكلم الروحية" لأبي الفرج بن هندو^(٧٤) (١٢٠هـ/١٠٢٩م)، وكتاب "صنوان الحكمة" لأبي سليمان السجستاني^(٧٥) (٣٩١هـ/١٠٠٠م)، و"كتاب الحكمة الخالدة" لأحمد بن محمد بن مسكويه، (٤٢١هـ/١٠٣٠م) و"كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم" لأبي الوفاء بن فاتك^(٧٦) (٤٨٠هـ/١٠٨٧م).

ويرمي مؤلفو هذه المصنفات من جمع وصايا وآداب الأمم الأربعة: الفرس والهند والعرب والروم (أي اليونانيين) وما في هذه الوصايا من آداب الحكماء اليونانيين من أمثال سقراط^(٧٧) (٤٧٠ - ٣٩٩ ق.م) وأفلاطون^(٧٨) (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م)، وأرسطوطاليس^(٧٩) وهرمس^(٨٠) ومن ملوك فارس وحكمائهما من أمثال حاكمهم كسري أنوشروان^(٨١). كما أن في هذه المصنفات شيئاً من حكمة الهند ومن قدماء العرب من زهاد وشعراء ومتصوفة. لقد لخص لنا أبو الوفاء بشر بن فاتك في كتابه "مختار الحكم ومحاسن الكلم" بقوله: "وكنتم قد قرأت كتباً فيها أشياء من آداب الحكماء اليونانيين ومواعظ العلماء المتقدمين فرأيت فيها وصايا أعجبتني ومواعظ التأطت بقلبي وآداباً استحسنتها نفسي، يكثر انتفاع المتدبر لها وتعظم فائدة العامل بها"^(٨٢).

يقابل هذا النوع من المصنفات نوع آخر هو أشبه ما نسميه بالفكر الأخلاقي فهو إضافة لما يتمتع به الأول من تعبيرات لغوية عالية شأنه شأن الأدب الخلفي لكنه يمتاز بتماسكه العقلي المنطقي ولهذا فهو يعد في إطار العلم الأخلاقي الفلسفي. فأصحاب هذه المصنفات ليس غرضهم حكاية الأقوال الحكمية كما فعل السابقون من المؤرخين والأدباء. بل غرضهم إبراز وتوضيح الرابطة بين المبادئ والمفاهيم الأخلاقية Moral concepts والأسس العقلية Rational Grounds التي تستند إليها النظريات الأخلاقية Moral Theories في إبراز أساليب الإقناع من تعليل وتحليل وتأييل، ذلك لأن علم الأخلاق يقوم على الدراسة المنهجية لمجموعة القيم والفضائل والقواعد التي يستند عليها السلوك الإنساني.

إن أقدم ما لدينا، نحن الإسلاميين، من مصنفات أخلاقية من هذا النوع هو ما يؤخذ من المؤلفات المنسوبة إلى علماء الكلام من معتزلة وأشاعرة وأصحاب فرق أخرى. ومن المؤلفات القيمة الممتازة تلك التي تنسب إلى أعلام المتكلمين من أمثال القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني^(٨٣) (٤١٥هـ/١٠٢٥م) صاحب كتاب "المغني في أبياب التوحيد والعدل" والقاضي أبي الحسن الماوردي^(٨٤) (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) صاحب "أدب الدين والدنيا"، كذلك كتاب أبي محمد علي بن حزم^(٨٥) (٤٥٦هـ/١٠٦٤م) صاحب "الأخلاق

والسير"، والامام الجويني^(٨٥) (٤٧٨هـ/١٠٨٥م صاحب "الإرشاد إلى قواطع الأدلة في الاعتقاد"، والامام أبي حامد الغزالي (٥٠٥هـ/١١١١م) صاحب "ميزان العمل" وفخر الدين الرازي^(٨٦) (٦٠٦هـ/١٢٠٩م) صاحب "كتاب النفس والروح".

وقد عالج المتكلمون موضوع الأخلاق ضمن مواضيع علم العقيدة وأفردوا لها باباً سموه التحسين والتقبيح أو التعديل والتجوير وبذلك جعلوها ضمن عقائد المسلم التي يقوم بها دينه وعقيدته والحكم له أو عليه بصحتها أو فسادها.

ويضاف إلى تلك القائمة، قائمة مصنفات الفكر الأخلاقي، كتابات الفلاسفة المسلمين الذين نهلوا من معين الفلسفة اليونانية وغلب عليهم طابعها وخاصة فلسفة كبارها من أمثال سقراط وأفلاطون، وأرسطوطاليس. لقد عرف الفلاسفة المسلمون فلسفة اليونان من ترجمة هذا العلم من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية ولكن عرفوها بخاصة من ترجمة حنين بن إسحق^(٨٧) (٢٥٩هـ/٨٧٣م) ومجموعة مترجميه في دار الحكمة^(٨٨) التي أنشأها الخليفة المأمون^(٨٩) بن هارون الرشيد (٢١٨هـ/٨٣٣م) ولقد وصلت هذه الترجمة إلى العرب والمسلمين متأثرة بالشروح المتأخرة التي أعدها الإسكندرانيون والسريان والفرس.

إن من أقدم هذه المصنفات الأخلاقية الفلسفية "رسالة الحيلة في دفع الأحزان" لمؤلفها أبي يوسف الكندي^(٩٠) (٢٥٣هـ/٨٦٦م) المعروف بفيلسوف العرب. وكذلك "رسالة الطب الروحاني" لأبي بكر الرازي^(٩١) (٣٢٠هـ/٩٢٢م). ثم هنالك كتب الأخلاق لأبي نصر الفارابي^(٩٢) (٣٣٩هـ/٩٥٠م) المعروف بالمعلم الثاني وباعتبار أرسطوطاليس هو المعلم الأول. ثم هنالك "كتاب تهذيب الأخلاق" لأبي زكريا يحيى بن عدي^(٩٣) (٢١٨هـ/٨٣٣م)، ومن الكتب الفلسفية التي سارت على هذا المنوال كتاب ابن مسكويه (٤٢١هـ/١٠٣٠م) "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق" وكذلك الرسالة في علم الأخلاق" والمنسوبة لأبي علي بن سينا (٤٢٨هـ/١٠٣٧م).

ثم هنالك نوع آخر من كتابات الإسلاميين في الأخلاق، هي الكتب الأخلاقية القائمة على علم التصوف وحصر الحديث عن النفس وتطهيرها وتهذيبها وتركيتها من

الردائل. ومن أشهر الكتب في هذا المجال كتاب الإمام أبي حامد الغزالي، "إحياء علوم الدين"، وكتابات الحارث بن أسد المحاسبي^(٩٣) (٢٤٣هـ/٨٥٧م) وكتاب "مدارج السالكين" لابن قيم الجوزية^(٩٤) (٧٥١هـ/١٣٥٠م).

ولأنه لا بد لهذه الدراسة من حدود فقد قصرتها على المتكلمين الإسلاميين وبذلك يكون الحديث عن الفلاسفة وأعمالهم والمتصوفة وآثارهم خارج حدود البحث هذا.

وفي حدود هذا البحث فأنني اختار أن أقدم الفكر الأخلاقي وجدلية العقل والنقل كما وجدتتها في كتابات المعتزلة والأشاعرة، فلاسفة الإسلام الحقيقيون - كما وصفهم أحد المعاصرين^(٩٥) وفي كتابات المعتزلة و"الأشاعرة فأنني أخص كتابات القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني وفي الأشاعرة فأنني أخص كتابات إمام الحرمين الجويني الأشعري. ويشهد لهما كبار المؤرخين والمترجمين من أن هذين الشيخين الجليلين هما من كبار العلماء المسلمين المحققين، ولقد اخترتهما

لكونهما يمثلان رأسيّ الرمح في فرقتيهما وإنني على قناعة على أن ليس في أصحاب الفرق الإسلامية من هو أبعد أثراً في تفسير القرآن الكريم^(٩٦) وأعلم بأصول الفقه^(٩٧) والفكر العقدي الإسلامي ومذاهب الملل والنحل الإسلامية وغير الإسلامية من شيوخ المعتزلة والأشاعرة والفكر الأخلاقي الذي قدمه لنا هذان الشيخان ممتع فلسفياً كما سنرى لاحقاً. فالنظرية الأخلاقية عندهما مكتملة القواعد والأركان. أول هذه القواعد هو الاهتمام بشرح وتعريف المفردات الأخلاقية وهو الذي يعرف عند فلاسفة الأخلاق المعاصرين بـ *Meta ethics*. فالأنفاظ الأخلاقية مع تنوعها وكثرتها واضحة المعاني بينة الدلالات ودائماً ما يكون شرح هذه المفردات الأخلاقية تمهيداً لما يأتي بعدها من الأحكام الأخلاقية *Moral Judgment*.

لقد اختارت المعتزلة وكذلك القاضي عبد الجبار أن يكون المذهب الأخلاقي عندهم الدينتولوجية Deontology الذي يقول بحسن وقبح الفعل لذاته. كما اختار الشيخ الجويني أن يكون الشرع Divine Theory هو المهيمن على الأحكام الأخلاقية من تحسين وتقبيح. وقبل القاضي عبد الجبار الذوقية العقلية Intuitionism مبرراً للقبول المعرفي Theory of Justification بينما أصر إمام الحرمين أن تكون بوابة الشرع هي المدخل المعرفي لتبرير الفعل الأخلاقي.

المبحث الخامس : الأخلاق عند علماء الكلام

التحسين والتقبيح أو التعديل والتجوير

١/ الأخلاق عند المعتزلة

لمدة طويلة من الزمن ظل علم الكلام الإسلامي يكتب من وجهة نظر الأشاعرة وظلت مصادر العلم المشهورة هي "مقالات الإسلاميين" للاشعري و"الملل والنحل" للشهرستاني و"الفرق بين الفرق" للبغدادى و"المواقف" للإيجي وغيرها من كتب الأشاعرة. ومن آثار هذا الموقف أن علم الكلام قد عرف من وجهة نظر واحدة وأهمل الرأي الآخر، بل أن أفكار الخصوم خاصة المعتزلة قد عرضت بصورة بسيطة أفقدتها قوتها وجاذبيتها، بل أن بعض المؤرخين الأشاعرة وغيرهم بدّل وحرف في أفكار الخصوم ذلك مما حدى بأبي الحسين الخياط (٢٨٩هـ / ٩٠٢م) المعتزلي المعروف أن يكتب "الانتصار" رداً على تحريفات ابن الراوندي (٢٤٥هـ / ٨٥٩م) صاحب كتاب "فضيحة المعتزلة".

لكن في بواكير النصف الثاني من القرن الماضي وتحديداً في عام واحد وخمسين وتسعمائة وألف من الميلاد "قامت بعثة بقيادة الأستاذين خليل نامي والسيد فؤاد سيد من اكتشاف مخطوطات لشيخو المعتزلة في أحد مساجد صنعاء، وأكثر ما ظهر لنا في هذه المخطوطات مؤلفات القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني منها "المفني في أبواب التوحيد والعدل"^(٩٨) والذي يعد بحق أكبر دائرة معارف لعلم الكلام الإسلامي متوفرة لنا حتى الآن، ووجد كذلك لنفس المؤلف كتاب "شرح الأصول الخمسة" و"فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة"، و"المحيط بالتكاليف" لقد كان اكتشاف هذه الكتب فتحاً كبيراً للتعرف على مواضيع الكلام وطرق عرضها وتوضيحها.

والذي يخصنا الآن هو استخراج نظرية الأخلاق من كتب القاضي وخاصة من كتابه "المغني في أبواب التوحيد والعدل". وحظي من هذه الدراسة أن رتبت وجمعت شتات النظرية الأخلاقية التي هي مبثوثة في بطون كتب القاضي المختلفة، وقد حاولت قدر طاقتي أن أصوغها حتى تبدو وكأن الشيخ يتحدث إلينا بمنهجية معاصرة. ورغم أن النظرية قد شابها شيء من التطور الطفيف في مراحل كتابته موسوعته "أي المغني" والذي أملاه على تلاميذه في قرابة العشرين عاماً إلا أنني رأيت أن أقدم النظرية على صورة واحدة متماسكة.

التقسيمات الأساسية للأفعال الأخلاقية:

يبدأ القاضي القسم الأول من المجلد السادس من كتاب "المغني" حيث يقسم الأفعال حسبها ورد عن شيوخه السابقين -أي شيوخ المعتزلة عموماً. يقول القاضي:

"أعلم أن الفعل ينقسم إلى وجهين: أحدهما لا صفة له زائدة على وجوده فهذا لا يوصف بقبح ولا حسن عند شيوخنا رحمهم الله، وذلك كفعل الساهي والنائم. والثاني له صفة زائدة على وجوده فلا يخلو من وجهين، أما أن يكون قبيحاً أو حسناً لأنه إما أن يعلم من حالة أنه مما يستحق به الذم إذا انفرد فيكون قبيحاً أو يعلم من حاله أنه مما لا يستحق به الذم على وجه من الوجوه فيكون حسناً.

ثم ينقسم (الفعل) إلى قسمين أحدهما يسمى فاعله بأنه ملجأ إليه لقوة دواعية إلى إيجاده فلا يدخل في حيز ما يستحق به الذم أو المدح، والثاني أن يكون فاعله مخلي بينه وبينه وما هذه حاله إما أن يقع على وجه يقبح أو على وجه يحسن.

وما يقع على وجه يحسن ينقسم أقساماً منها: ما لا صفة له زائدة على حسنه وفعله له وأن لا يفعله فيما يتعلق بالذم والمدح سواء فيكون مباحاً، وفيها ما يستحق بأن يفعله المدح إذا لم يمنع منه مانع ولا يستحق الذم بأن لا يفعله فيوصف بأنه ندب ومرغب فيه ومنها ما يستحق به الذم بأن لا يفعله فيوصف بأنه واجب.

ثم ينقسم (الواجب)، فمنه ما يستحق الذم بأن لا يفعله بعينه فيوصف بأنه واجب مضيق ومنه ما يستحق الذم بأن لا يفعله إذا لم يفعل ما يقوم مقامه فيوصف بأنه واجب مخير^(٨٩)

نلاحظ في هذا الاقتباس المطول أن النظرية الأخلاقية عند القاضي عبد الجبار غنية Rich بالفاظها الأخلاقية حيث تشتمل على الحسن، القبيح، المباح، المندوب، والواجب بشقيه الموسع والمضيق. والألفاظ الأخلاقية عند القاضي إذا ما قورنت مع الألفاظ المستعملة في الفلسفة الأخلاقية الغربية نجد مفرداتها أكثر عدداً وثراءً، إذ تتمحور وتتحصر المفردات الفلسفية الأخلاقية المعاصرة عند الغربيين في مفهوم الصدق والخير The Right and the good^(١٠١).

إن الأحكام الأخلاقية الخمسة الواردة في الاقتباس المطول هي في الأصل أحكام شرعية^(١٠٢) معروفة في محيط الشرعيات إلا أن القاضي قد نجح في نقل هذه الألفاظ من مجال الشرعيات إلى مجال الخلقيات والعقليات وذلك باستعمال لفظي "المدح والذم" مما يؤكد أن وراء هذه الألفاظ الشرعية معان أخلاقية هامة.

السؤال الذي يطرح نفسه لماذا صار الفعل قبيحاً أو حسناً عند المعتزلة؟ يوضح القاضي ذلك بقوله:

"إن (الفعل) القبيح يقبح لوقوعه على بعض الوجوه (ground) نحو كونه كذباً وظلماً وأمرأً قبيحاً وجهلاً وإرادة لقبيح، وكل ذلك يقتضي اختصاصه بحكم زائد على الوجود وكذلك الحسن إنما يحسن لوجه معقول يحصل عليه متى انتفت وجوه القبح فيه"^(١٠٣).

وبينما يحدد القاضي وجوه القبح في الاقتباس السابق إلا أنه في موقع آخر يجعل وجوه القبح عديدة، يقول القاضي:

"فالكلام قد يقبح لأنه نهى عن حسن ولأنه كذب أو لأنه إباحة لقبيح أو حظر للحسن أو إيجاب ما ليس بواجب أو ترغيب في قبيح أو تزيين له أو وعد على من لا يستحق به الثواب، أو توعده على ما لا يستحق به العقاب بالعقاب، أو أمر بما لا يطاق، أو سؤال عنه"^(١٠٤).

والأفعال القبيحة عند القاضي على ضربين: أحدهما يقبح لأمر يختص به لا لتعلقه بغيره وذلك مثل كون الظلم ظلماً والكذب كذباً^(١٠٥).. والثاني يقبح لتعلقه بما يؤدي إليه وذلك كالعقوبات الشرعية التي إنما تقبح من حيث تؤدي إلى الإقدام على قبيح

عقلي أو الانتهاء من بعض الواجبات، ألا ترى أن شكر النعمة والإنصاف تجب لأمر تخصصها والواجبات الشرعية لكونها مصلحة ولطفاً؟^(١٠٥).

وكذلك فعل الواجب عند القاضي يجب لوقوعه على وجوه مثله ومثل الأفعال القبيحة تماماً تقبح لوقوعها على وجوه فالفعل الواجب له وجوه مثل كونه رد للوديعة، أو شكر للنعم، أو قضاء دين أو إنصاف، ومثل ذلك وكذلك الفعل لا يكون واجباً عنده لمجرد الأمر وفي الشريعة عندما يحث الله عباده على أداء أمر سرعان ما يربط الأمر بسبب معقول (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} {٩٠} (سورة النحل). وقوله تعالى (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} {٣٢} (سورة الإسراء).

وفي هذه النقطة الأخيرة -علاقة الشرع بالعقل- في تحسين وتقبيح الأفعال يذكر القاضي:

"وإنما يكشف السمع عن هذه الأفعال عما لو عرفناه بالعقل لعرفنا قبحه أو حسنه لأننا لو عرفنا بالعقل أن لنا في الصلاة نفعاً عظيماً وأنها تؤدي بنا إلى أن نختار فعل الواجب ونستحق به الثواب لعلمنا وجوبها عقلاً ولو علمنا أن الزنا يؤدي إلى فساد لعلمنا قبحه ولذلك يقول أن السمع لا يوجب قبح شيء ولا حسنه، وإنما يكشف حال الفعل عن طريق الدلالة كالعقل^(١٠٦).

والقاضي مثل غيره من المتكلمين يقسم المعارف إلى ضرورية بديهية، وإلى مكتسبة فكذلك يقسم الأحكام الأخلاقية Moral Judgment فمنها ما يعرف بداهة apriori ومنها ما يعرف اكتساباً acquired ، فقبح الظلم وحسن الصدق ووجوب شكر النعم أحكام تعرف بأول العقل Intuitively، ومن جهة أخرى فإن معرفة أحكام الأفعال المخصوصة يمكن أن تستخرج من الأحكام المتقدمة بواسطة النظر deduction ، فمن معرفتنا البديهية بقبح الظلم وأن هذا الفعل المخصوص ظلم، أدركنا أن هذا الفعل قبيح^(١٠٧) لأن من كمال العقل العلم بأن الظلم مما يستحق به الذم ولا يختلف العقلاء في العلم بذلك، كما لا يختلفون في العلم بالمدرجات وسائر ما

يكمل به العقل فلا فرق بين من يدعي خلاف ما ذكرناه من الظلم والكذب وبين من يدعي في سائر ما يعلم باضطراب ومن بلغ هذا الحد لم يمكن من مكالمته إلا التنبيه له جحد الضروريات^(١٠٨).

ب/ الرد الأشعري:

كما هو معروف فإن مدرسة المعتزلة والأشاعرة قد اختلفتا في كثير من مسائل العقيدة وعلم الكلام ومن ضمن هذه الخلافات خلافهما في التحسين والتقبيح أو في التعديل والتجويز، هكذا سمي علم الأخلاق عندهم. وعلى عكس ما يقوله المعتزلة من أن العقل يدرك حسن وقبح الفعل يقول الأشاعرة على لسان أبي المعالي الجويني: "العقل لا يدل على حسن شيء ولا قبحه في حكم التكليف، وإنما يتلقى التحسين والتقبيح من موارد الشرع وموجب السمع. وأصل القول في ذلك أن الشيء لا يحسن لنفسه وجنسه وصفة لازمة له، وكذلك القول فيما يقبح وقد يحسن في الشرع ما يقبح مثله المساوي له في جملة أحكام صفات النفس"^(١٠٩).

ثم يستمر الجويني في حجته إذ يقول:

"فالمنعني بالحسن ما ورد الشرع بالثناء علي فاعله والمراد بالقبيح ما ورد في الشرع بئذ صاحبه"^(١١٠) وكذلك الواجب عندهم (أي الأشاعرة) إنما المراد بالواجب الفعل الذي ورد الشرع بالأمر به إيجاباً، والمراد بالمحذور الفعل الذي ورد الشرع بالنهي عنه حظراً وتحريماً"^(١١١).

ويرد الجويني على المعتزلة في قولهم بأن الحسن والقبح يدركان بالعقل وأن فيهما ما يدرك قبحه وحسنه بداهة دون نظر، ومنها ما يدرك حسنه وقبحه بنظر عقلي. يقول الجويني راداً عليهم:

"وسبيلنا أن نوجه عليهم القول فنقول: ما ادعيت قبحه وحسنه ضرورة فأنتم فيه منازعون وعن دعوكم مدفوعون، وإذا بطل ادعاء الضرورة في الأصول بطل رد النظريات إليها وهذه الطريقة على إيجازها تهدم أصول المعتزلة في التحسين

والتقبيح^(١١٣) ويستمر الجويني في حجته مسترسلاً "لم ادعيت العلم الضروري بالحسن والقبح مع علمكم بأن مخالفيتكم طبقوا وجه الأرض وأقل شذمة منهم تزيد على عدد أقل التواتر ولا يسوغ اختصاص طائفة من العقلاء بضرب من العلوم الضرورية مع استواء الجميع في مداركها" والذي يقرر ما قلناه أن البراهمة^(١١٣) كما وافقوا المعتزلة في التحسين والتقبيح العقليين على زعمهم كذلك اعتقدوا قبح ذبح البهائم والتسليط على إيلامها وتعريضها للنصب والتعب^(١١٤).

وبهذا فإنه يمكن القول بأن مواقف العلماء والفقهاء والمسلمين من العقل مواقف متباينة، فهناك الذين ذموا العلوم العقلية منهم الإمام الشافعي (٢٠٤هـ/٨١٩م) الذي ينسب إليه القول "ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطوطاليس^(١١٥)". ولكن الهجوم الشرس على المعارف العقلية قاده المحدث ابن الصلاح الشهرزوري (٦٤٣هـ/١٢٥٥م) صاحب الفتوى الشهيرة في تحريم المنطق والقولة الشهيرة "من تمنطق تذندق" وقد جاءت فتواه رداً على أسئلة وجهت إليه هل أباح الشرع المنطق تعليماً وتعليماً وهل يجوز استخدام المصطلحات المنطقية في إثبات الأحكام الشرعية وماذا يجب على ولي الأمر فعله إزاء شخص من أهل الفلسفة معروف بتعليمها والتصنيف فيها، قال ابن الصلاح "الفلسفة أسس السفة والانحلال ومادة الحيرة والضلال ومثار الزيف والذندقة^(١١٦)".

وبالمقابل هنالك من الفقهاء والعلماء المسلمين من أباحوا النظر في العلوم العقلية وجعلوها معيار الصدق والعلم وإن الذي لا يعرفها لا يوثق بشيء من علومه وأبحرت بهم سفائن العقل إلى مرساه ومنتهاه ذلك عندهم بأن الشريعة حق وأنها قد حثت على النظر المؤدي إلى معرفة الحق وفي اعتقاد هؤلاء أن النظر العقلي البرهاني لا يؤدي إلى مخالفة ما ورد في الشرع ذلك لأن الحق لا يضاد الحق ولذلك فإن النقل لا يخالف العقل أصلاً^(١١٧).

وآخرون من العلماء المسلمين كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبهم وديدنهم، فأول أمرهم كانوا من الداعين إلى أعمال العقل والفكر في مسائل العقيدة وخاضوا في هذا المجال خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور وتوغلوا في كل مظلمة وتهجموا على كل مشكلة واقتحموا كل ورطة وتفحصوا عقيدة كل فرقة^(١١٨) حتى إذا لم

وصلوا إلى بر الأمان وحاصرتهم الإلزامات العقلية والسمعية وتكافأت عندهم الأدلة
أنشدوا مع أبي الحديد البغدادي

فيك يا أغلوطة الفكر	حار أمري وانقضى عمري
سافرت فيك العقول فما	ربحت إلا أذى السفر
فلحني الله الأولى زعموا	أنك المعروف بالنظر
كذبوا إن الذي ذكروا	خارج عن قوة البشر.

فلما انقضى من العمر أكثره طلبوا السلامة في الدين وآثروا السمع على العقل
وأجروا معاني آيات الكتاب على ظواهرها وفوضوا معانيها إلى الرب واتبعوا سلف هذه
الأمة.

الهوامش

١. د. عبدالله إبراهيم الشكري، "المتكلمون المسلمون"، وجدلية العقل والنقل في الأحكام الأخلاقية"، مشروع العقل والعقلانية في إطار الفكر الإسلامي، (برنامج بحثي لدراسة مسألة العقلانية في الفكر الإسلامي تاريخياً ونقدياً وتجديداً على مستوى تقسيم المجالات المعرفية الأساسية)، مركز التنوير المعرفي، سلسلة ندوات التنوير، رقم "٤"، ط١ ص ١٦٠ - ١٨١.

٢. د. عبدالله إبراهيم الشكري "الأخلاق بين الفلاسفة الغربيين والأصوليين المتكلمين المسلمين"، دراسة تحليلية مقارنة، الأخلاق السودانية من منظور آخر (رؤى نقدية من واقع نموذج نوردنستام)، مركز التنوير المعرفي، سلسلة ندوات التنوير رقم "٣"، ط١، ص ٥٨ - ٧١.

٣. لماذا سمي علم الكلام بالكلام؟ لهذه التسمية عدة تأويلات: فقد قيل أنه سمي بذلك الاسم لأن الباحثين كانوا يقسمون مباحثه إلى الكلام في الصفات، الكلام في العلم، الكلام في التوحيد، الكلام في كذا والكلام في كذا، انظر التفتازاني، شرح المقاصد، عالم الكتب، بيروت، ص ١٦٤.

وقال آخرون إنما سمي العلم بالكلام لأن البحث فيه يكسب الباحث القدرة على الكلام في مسائل أصول الدين كما يكسب البحث في المنطق ويورث الباحث فيه القدرة على التفلسف. وقيل إنما سمي الكلام لقوة أدلته كأنه هو الكلام دون غيره كما يقال للأقوى في الكلام، هذا هو الكلام.

ثم هنالك رأي سالب أورده ابن تيمية (٧٢٨هـ/١٤٢٨م) حين قال: سمي الكلام كلاماً لأنه لا يفيد الإنسان علماً لم يكن له وإنما يفيد كثرة كلام، لذلك سموهم أهل الكلام، انظر كتابه "الرد على المنطقيين"، دار الكتب العلمية، ص ٢٨.

لقد طور المتكلمون فن المناظرة والجدل وإقامة الحجة على الدعاوى التي يقيمونها. بل أن علم الكلام قد اشتق من أسلوب الممارسة التي كانت سائدة بين المتكلمين. فالمتكلم بعد أن يدلي برأيه في القضية المطروحة يفترض خصماً وهمياً يحاوره ويورد لنا المتكلم الحوار على الصيغة التالية المعروفة بالفتنة:

"فإن قال (الخصم) كذا... قلنا له كذا... وليس له (أي الخصم) أن يقول كذا...، لأننا سنقول له كذا...".

فالمكلم يسعى لسد منافذ النقد في قضيته وإلزام الخصم بأمور تتبع من مقدمات يسلم بها الخصم، والغرض من إلزامه هذه الإلزامات أن يغير الخصم موقفه فيتخلي عن مسلماته، وغرض المتكلم النهائي أن يثبت أن كلام الخصم إما متناقض أو ليس له معنى وكلتا النتجتين قاصمة لظهر الخصم ومفحمة له، فلا يجد له رداً، انظر:

R.M. Frank, The kalam: Art of Contradiction –Making, Journal of American Oriental Studies, 87, pp295 – 308

ومن أشهر مناظرات علم الكلام على الإطلاق مناظرة أبي الحسن الأشعري (٢٢٤هـ/٩٣٦م) مع شيخة أبي علي الجبائي (٣٠٢هـ/٩١٥م) تقول الرواية: إن أبا الحسن الأشعري سأل أستاذه أبا علي الجبائي عن ثلاثة أخوة: أحدهم كان مؤمناً برأ تقياً، والثاني كان كافراً فاسقاً والثالث كان صغيراً فماتوا جميعاً فكيف حالهم؟

قال الجبائي: أما الزاهد ففي الدرجات، وأما الكافر ففي الدرجات، وأما الصغير فمن أهل السلامة. فقال الأشعري: إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له؟ فقال الجبائي: لا لأنه يقال له: إن أخاك إنما وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات فقال الأشعري فإن قال ذلك الصغير: التقصير ليس مني فأنتك ما أبقيتني، فلو أحييتني كنت عملت الطاعات مثل أخي المؤمن: فقال الجبائي يقول الله كنت أعلم لو أنك بقيت لعصيت فراعيت مصلحتك وأمتك قبل أن تنتهي إلى سن التكليف، قال الأشعري: فلو قال الأخ الكافر يا رب علمت حاله كما علمت حالي فهل راعيت مصلحتي مثله؟ فانقطع الجبائي. انظر السبكي: "طبقات الشافعية" الجزء الثاني، ٢٤٨، ابن خلكان "وفيات الأعيان" الجزء الرابع، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م، ص ٩٧. لنقد رواية الأخوة الثلاثة انظر، د. عبد الله إبراهيم الشكري، مناظرة أبي الحسن الأشعري مع شيخة أبي علي الجبائي، دعوة لإعادة النظر في تاريخ علم الكلام، مجلة بحوث العالم الإسلامي، العدد الخامس ص، ٢٩٧-٣١٤.

٤. الشيعة أقدم الفرق الإسلامية على الإطلاق وهم القائلون بأحقية سيدنا علي بن أبي طالب (٤٠هـ/٦٦١م) وأبنائه من بعده بالإمامة. وأشهر المذاهب العقدية عندهم: الشيعة الأثنا عشرية المعروفة بالشيعة الإمامية. وترتيب الأئمة عندهم كالآتي: سيدنا علي (٤٠هـ/٦٦١م) ومن بعده ابنه الحسن (٤٩هـ/٦٧٠م)، والحسين (٦١هـ/٦٨١م)، وعلي زين العابدين (٩٤هـ/٧١٣م)، ومحمد الباقر (١١٥هـ/٧٣٣م)، وجعفر الصادق (١٤٨هـ/٧٦٦م)، وموسى الكاظم، (١٨٣هـ/٧٩٩م)، علي الرضا (٢٠٢هـ/٨١٧م)، محمد الجواد (٢٢٠هـ/٨٣٥م)، علي الهادي (٢٥٤هـ/٨٦٨م)، الحسن العسكري (٢٦٠هـ/٨٧٥م) ومحمد بن الحسن العسكري (٢٦٥هـ/٨٧٩م). ثم الشيعة الزيدية المنسوبة إلى الإمام زيد بن علي زين العابدين (١٢١هـ/٧٣٩م)، والشيعة الإسماعيلية المنسوبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق (١٤٣هـ/٧٦٠م) الذي مات في حياة أبيه. وأخيراً الشيعة الغلاة مثل السبئية المنسوبة إلى عبد الله بن سبأ (٤٠هـ/٦٦١م)، والغرابية وغيرها من فرق الشيعة الغالية.

أما السبب في تسمية الشيعة بهذا الاسم فينقل عن ابن النديم في فهرسه أنه قال: قال محمد بن إسحاق لما خالف طلحة والزبير علياً رضي الله عنه وأبيا إلا الطلب بدم عثمان بن عفان فقصدتهما علي عليه السلام ليقاتلهما حتى يفينا إلى أمر الله جل اسمه فسمي من اتبعه على ذلك: بالشيعة فكان يقول: شيعتي، وسامهم الأصفياء، الأولياء، شرطة الأصحاب: انظر ابن النديم، الفهرست، المكتبة التوفيقية، ص ٢٤٤. ويجمع فرق الشيعة أن الإمامة أصل من أصول الدين وليست من القضايا المصلحية التي يفرض أمرها للعامة وأن الأمام منصوب عليه وأنه معصوم من الخطأ، والشيعة تؤمن بالتقية والرجعة والمهدية. والمذهب الشيعي واسع الانتشار اليوم في البلاد الإسلامية، إلا أن دولة إيران

الإسلامية هي التي تتخذ المذهب رسمياً وتتعبد الشيعة بمذهب الإمام جعفر الصادق في الفقه وهو الإمام السادس في ترتيب أئمة الشيعة الإمامية، انظر: النوبختي، فرق الشيعة، المكتبة الأزهرية للتراث، الأشعري، مقالات الإسلاميين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الجزء أول، ص ٦٦ - ١٦٦، الشهرستاني، الملل والنحل، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٤٤ - ٢٠١ البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق لجنة إحياء التراث، بيروت، ص ١٥ - ٥٣.

٥. أطلق اسم الخوارج أولاً على أصحاب الفرقة التي خرجت على الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - بعد معركة صفين (٣٧هـ/٦٥٧م) وحاربوه في النهروان ثم أطلق الاسم على كل من خرج على الإمام الذي اتفقت عليه الأمة -سواء كان ذلك الخروج في زمن الصحابة أو التابعين. ويقسم مؤرخو الفرق الخوارج إلى ستة أقسام: الأزارقة، النجدات، الصفرية، العجاردة، الثعلبية والإباضية، والفرقة الأخيرة هي كل ما بقي لنا من هذه الفرق التاريخية وهي تنسب إلى عبد الله بن إبياض الذي خرج على آخر خلفاء بني أمية في زمان مروان بن محمد (١٣٢هـ/٧٥٩م) المشهور بمروان الحمار. ويرى الإباضية أن مخالفهم كفار غير مشركين وحلال مناصحتهم ومواريثهم، وحرام قتلهم وسبيهم. والإباضية هو المذهب العقدي والفقهي لأهل دولة عمان المعاصرة، إلا أن فقهاءهم ينكرون علاقتهم بالخوارج. انظر الأشعري، "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين"، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٦ - ٢٣٥، البغدادي، "الفرق بين الفرق"، مصدر سبق ذكره، ص ٥٤ - ٨٩، الشهرستاني، "الملل والنحل"، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٦ - ١٣٦.

٦. المرجئة على معنيين: أحدهما بمعنى إعطاء الرجاء وهو رجاء الثواب من الله للعبد وأنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة. والمعنى الآخر للإرجاء هو معنى التأخير، أي تأخير الحكم على صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة أو أن الإرجاء هو تأخير العمل عن النية. والمرجئة على أصناف: مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالصة، وينسب الإرجاء إلى بعض كبار الفقهاء والعلماء في الإسلام، منهم الإمام الأعظم أبي حنيفة وتلميذه أبي يوسف (١٨٢هـ/٧٩٨م) كما ينسب الإرجاء إلى الحسن بن محمد بن محمد بن الحنفية (٩٥هـ/٧١٤م) صاحب كتاب "الإرجاء" والكتاب ذكره ابن كثير في "البداية والنهاية" ج ٩ - مكتبة صفاء ص ١١٧ وقال إنه ندم عليه ورسالة الحسن بن محمد بن الحنفية منشورة بكاملها في جوزيف فان أس Joseph Van Ess من مجلة Arabia, 21, A74 pp 20-53 انظر كذلك الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص ٢١٣ - ٢٣٤، الشهرستاني، الملل والنحل، ص ١٣٧ - ١٤٣.

٧. القدرية مذهب عقائدي ينسب إلى جماعتين مختلفتين متناقضتين في الفكر. أحد هذه المذاهب يقول إن الإنسان مختار فيما يأتي أو يترك في الأفعال وأنه يريد لأفعاله قادر عليها. وأول من قال بالقدر على هذا المعنى معبد الجهني (٨٠هـ/٦٩٩م) وغيلان الدمشقي (١٢٥هـ/٧٤٣م) والجمع بن درهم (١٢٤هـ/٧٤٢م). ويصنف مؤرخو الأشاعرة المعتزلة من القدرية، يقول الأشعري في هذا المجال: "فإن قالوا- أي المعتزلة- لم سميتونا قدرية؟ قيل لهم: لأنكم تزعمون في أكسابكم أنكم تقدرونها وتقولونها مقدرة لكم دون خالقكم. والقدرية هو من ينسب ذلك إلى نفسه "الأشعري:

كتاب "اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع"، صححه وقدم له د. حموده غراب، المكتبة الأزهرية للتراث، ص ٩٠.

وعلى عكس ما ذكر سابقاً، فالمعتزلة يسمون خصومهم الأشاعرة بالقدرية وهي أن أفعال الإنسان مقدره عليه من خالقه. يقول القاضي عبد الجبار: "أعلم أن القدرية عندنا إنما هم المجبرة والمشبهة وعندهم المعتزلة. فنحن نرميهم بهذا اللقب وهم يرموننا به وقد حكى عن بعضهم أنه قال: إن المعتزلة كانت تلقبنا بالقدرية فقلبناها عليهم وقد أعاننا السلطان على ذلك..." وروى عن النبي أنه قال لعن الله القدرية على لسان سبعين نبياً. قيل من القدرية يا رسول الله ٩، قال: الذين يعصون الله، يقولون كان ذلك بقضاء الله، "القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني، شرح الأصول الخمسة، مكتبة وهبة، ١٩٧٨ ص ٧٧٤ - ٧٧٥.

٨. تتسبب فرقة الجهمية إلى الجهم بن صفوان (١٢٨هـ/٧٤٦م) صاحب الجبر الخالص الذي ينفي عن الإنسان أي قدرة على إحداث الفعل ولا الاستطاعة وإنما الإنسان مجبور في أفعاله وإذا وصف الإنسان بفعل فإنما يعد ذلك الوصف مجازاً مثل ما تقول جرى الماء وأثمرت الشجرة. ولا يجوز عند الجهمية أن يوصف الله سبحانه بأي صفة توصف بها مخلوقاته وذلك مثل كونه حياً وعالمًا وسمعيًا وبصيراً، ولكنه يوصف بالصفات التي تخصه، مثل كونه خالقاً محيياً مميّناً.

ثم هنالك الجبرية المتوسطة التي تتسبب إلى الفاعل كسباً، ولكنه غير مؤثر في الفعل وهذا النوع من الجبر ينسب إلى أبي الحسن الأشعري (٣٢٤هـ/٩٣٦م). لكن الكسب عند الأشعري قوبل بالاعتراض والنقد حتى عند أصحابه الأشاعرة حيث قال الجويني: "أما نفي القدرة والاستطاعة فهو مما ياباه العقل والشرع. أما إثبات قدرة لا أثر لها بوجه فهو كنفي القدرة أصلاً. فلا بد من انتساب فعل العبد إلى قدرة حقيقية لا على وجه الإحداث والخلق لأن الخلق والإحداث يرجع إلى مسبب الأسباب (الله)، انظر الشهرستاني، الملل والنحل، ص ٨٤.

٩. المعتزلة، الفرقة العدلية، أهل العدل والتوحيد، أهل الأصول الخمسة، هكذا يسمون أنفسهم ولكن خصومهم يسمونهم المعتزلة من اعتزال قول الأمة بأسرها، النفاة، المعطلة لصفات الله، الجهمية، مخانيث الخوارج، القدرية والمبتدعة. والمخالفون من أهل الكلام يطلقون أسماء على غرمائهم المقصود منها الإساءة، وهي Nicknames كما يقول منتقمري وات (M. Watt) Islamic Philosophy and Theology, University of Edinburgh Press, p.xv والمعتزلة أحد أشهر الفرق الكلامية في الإسلام وهي اثنتا عشرة طبقة حسب التصنيف التقليدي لمؤرخي الفرق، وطبقات المعتزلة، كما وضعها مؤرخوها، تنتهي في الطبقة الثانية عشرة. أرخ القاضي عبد الجبار الطبقات العشر الأوائل في كتابه "فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة" وأكمل الحاكم الجشمي الطبقة الحادية والثانية عشرة في كتابه "شرح عيون المسائل" وظلت الطبقات كما أكملها أو تركها الحاكم. ثم جاء ابن المرتضى (٨٤٠هـ/١٤٣٦م) وجمع بين الكتابين السابقين وأخطأ فيهما

أخطاء فاحشه وسمى كتابه "المنية والأمل" ولم يشر إلى المؤلفين الأصل وعلى خطي الشيعيين الجليلين القاضي عبد الجبار والحاكم الجشمي أضاف الباحث طبقتين من طبقات المعتزلة هما الطبقة الثالثة عشر والرابعة عشر ، أنظر عبدالله إبراهيم الشكري ، إعتقاد علماء المسلمين ، مناهج المتكلمين المسلمين في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية وطرق الدفاع عنها ، مركز التوير المعرفي ، الخرطوم ، ط ١ ٢٠٠٨ م ، ص ٤٠ - ٤٢ .

١٠. الأشاعرة أو الأشعرية أحد فرق الكلام الإسلامية ، وتنسب إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٢٦٠هـ - ٣٢٤هـ) / (٨٧٤ - ٩٣٦م). تتلمذ الأشعري في العقائد علي أبي علي الجبائي (٣٠٣هـ / ٩١٥م) شيخ الاعتزال في زمانه ثم فارقه. بعد خروجه من الاعتزال سلك طريقاً وسطاً بين السلف وأهل الاعتزال ولأنه أخذ يقرر العقائد على أصول أهل النظر فارتاب في أمره الأولون وطعنوا في عقيدته وكفروه الحنابلة وأباحوا دمه ولم يكن له في أول الأمر من أتباع ولا أنصار ، بل أصبح هو نفسه تابعاً لطريق عبدالله بن أبي كلاب (٢٣٤هـ / ٩٥٤م) والهارث المحاسبي (٤٠٣هـ / ١٠١٢م) ، وأبي العباس القلانسي ، حتى جاء أبو بكر الباقلاني (٤٠٣هـ / ١٠١٢م) فكان أول علم في تاريخ المدرسة الأشعرية وينسب إليه الفضل في تهذيب طرق الكلام. لقد أسس الباقلاني المذهب الأشعري وتبعه آخرون مثل أبي اسحق الأسفرائيني (٤١٨هـ / ١٠٢١م) ، وعبد القاهر بن طاهر البغدادي (٤٢٨هـ / ١٠٣٧م) ، وأبي المعالي الجويني (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) ، وتلميذه أبي حامد الغزالي (٥٠٥هـ / ١١١١م) ، وفخر الدين الرازي (٦٠٦هـ / ١٢٠م) ، وابن خلدون (٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) وآخرون وكلهم قد أخذوا بمناهج المتكلمين واختلط كلامهم بعلم الفلسفة. وأقر فقهاء وعلماء الأشاعرة التأويل مخرجاً للنصوص التي يوهم ظاهرها بالتشبيه والتجسيم.

لقد وجد الأشاعرة السند السياسي من الدولة السلجوقية (٤٣٩ - ٥٩٠هـ) / (١٠٤٧ - ١١٩٤م) وخاصة في زمن الوزير نظام الملك (٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) الذي أنشأ لهم المدارس المعروفة بالمدارس النظامية في بغداد وبلخ ونيسابور وهرات وأصفهان والبصرة وطبرستان والموصل وكتب على هذه المدارس "هي لأبي الحسن الأشعري وأصحابه" ، إلا أن المذهب الأشعري لم يصبح مذهباً رسمياً إلا في عام (٥١٦هـ / ١١٢٢م) حين حضر الخليفة المسترشد بالله درساً في نظامية بغداد. كما ساعد في انتشار المذهب الجامع الأزهر الذي ظل حتى الآن يتبنى العقيدة الأشعرية ويعلمها وينشرها في جامعات العالم الإسلامي.

ولقد عانى الأشاعرة من اضطهاد الحنابلة منذ خروج الأشعري من الاعتزال وضيق عليهم في بداية الدولة السلجوقية إذ ليس لأشعري أن يحضر الجمعة أو الجماعات مما اضطر بعض زعمائهم من أمثال إمام الحرمين الجويني (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) والقشيري (٤٦٧هـ / ١٠٧٤م) صاحب "الرسالة القشيرية" للخروج من خراسان إلى مكة أو القدس. ابن كثير البداية والنهاية، مجلد (١١ / ١٦١ - ١٦٢، (٣٠٦)، (١٢ / ١٤٩، ١٩٢، ٢١١)، . ابن خلكان ، وفيات الأعيان (٤ / ٥٨).

١١. إن عدد الفرق الإسلامية عند مؤرخي الفرق يعادل العدد المذكور في حديث "افتراق الأمة" ستفتقر أمتي على ثلاث وسبعون فرقة ، الناحية منها واحدة والباقيون هلكى ، قيل: ومن الناجية؟ قال : أهل السنة والجماعة ، قيل وما السنة والجماعة؟ قال ما أنا عليه اليوم وأصحابي". الحاكم، المستدرك، (٢١٨/١) حديث رقم ٤٤٤.

ولقد حاول كثير من المؤرخين حصر العدد في ثلاث وسبعين فرقة في تعسف شديد. لكن من الفرق التي لم يكتب لها الظهور في زمانها الماتريدي المنسوبة إلى أبي منصور الماتريدي (٣٣٣هـ / ٩٤٥م) ومذهبه وسط بين المعتزلة والأشاعرة ويذهب إلى التأويل ويأخذ بالأدلة العقلية ويلتمس المذهب في كتاب (التوحيد) للماتريدي. وأيضاً من الفرق التي لم يكتب لها الظهور في وقتها الطحاوية المنسوبة إلى الإمام أحمد بن محمد بن سلامة بن سلم بن عبد الملك المصري المشهور بالطحاوي (٣٢١هـ / ٩٤٣م) نسبة إلى طحا بصعيد مصر، صاحب العقيدة الطحاوية والذي انتهت إليه رئاسة المذهب الحنفي بمصر.

١٢. إن الخلاف بين أصحاب الفرق الكلامية معروفة، فهناك الخلاف بين الفرق التي عادة ما تكون معتقداتها مخالفة لبعضها البعض كالخلاف بين القدرية والمعتزلة من جهة ، والأشاعرة والجبرية من جهة أخرى ، وكالخلاف في بعض وجوهه بين الخوارج والشيعة.

ثم هنالك من الفرق من اتخذ موقفاً وسطاً بين الفرقتين المختلفتين كتوسط الماتريدي بين الأشاعرة والمعتزلة وتوسط الأشعرية بين السلفية والاعتزال.

١٣. إن الخلاف بين أصحاب الفرقة الواحدة موجود، خاصة بين الفرق الكبيرة كالمعتزلة والأشاعرة والشيعة والمرجئة والجبرية والخوارج، وأدى هذا الخلاف إلى الانشطار والتقسيم بين تلك الفرق وعادة ما تحدث المؤرخون عن الخلاف بين أهل الاعتزال وإن هذا الاختلاف قاد إلى تقسيمهم إلى مدرستين: هما مدرسة البصرة ومدرسة بغداد ، فبينما مدرسة البصرة تمتاز بشيوخها العظام الموهوبين من أمثال أبي الهذيل العلاف (٢٣٥هـ / ٨٤٩م) والنظام (٢٣٠هـ / ٩٣٣م) ، والجاحظ (٢٥٥هـ / ٨٠٨م) ، وأبي علي الجبائي (٣٠٣هـ / ٨٤٩م) ، وابنه أبي هاشم (٣٢١هـ / ٩٣٣م) ، والقاضي عبد الجبار (٤١٥هـ / ١٠٢٥م) وأبي الحسين البصري (٤٣٦هـ / ١٠٤٧م) وأبي رشيد النيسابوري (٤٥٩هـ / ١٠٦٨م). نجد أن مدرسة بغداد أشد اهتماماً بالسياسة والمشاركة فيها. وقد كان شيوخ هذه المدرسة من أمثال بشر بن المعتمر (٢١٠هـ / ٨١٧م) مؤسس قروء بغداد وثمانية بن الأشرس (٢١٣هـ / ٨٢٨م) وأبي موسى المردار (٢٢٧هـ / ٨٤١م) وجعفر الإسكافي (٢٤٠هـ / ٨٥٤م) وأحمد بن أبي دؤاد (٢٤١هـ / ٨٥٨م) قاضي الدولة

العباسية في زمن المحنة وأبي الحسين الخياط (٩٠١/٢٨٩) صاحب الانتصار وتلميذه أبي القاسم الكعبي البلخي (٣٠٢هـ/٩١٥م) صاحب "مقالات الإسلاميين". كان شيوخ هذه المدرسة البغدادية وراء التخطيط السياسي للدولة العباسية في عهد الخلفاء: المأمون (٨٢٢/٢١٨) والمعتصم (٨٤١/٢٢٧م) والواثق (٨٤٨/٢٣٢م) ولهذه المدرسة ينسب اللوم لمحاولتهم فرض آراءهم على مخالفيهم وذلك فيما يعرف في التاريخ الإسلامي بمحنة خلق القرآن التي كانت سبباً في التغيير السياسي الذي أحدثته الخليفة العباسي المتوكل (٨٤٧هـ/٨٦١م) من تغيير سياسة الدولة من موالاة المعتزلة إلى السخط عليهم واستبدالهم بنظرائهم السلفيين.

لقد شهد الفكر الاعتزالي والأشعري على السواء شيئاً من الاختلاف فبينما انقسمت المعتزلة إلى بصريين وبغداديين، كما أشرنا ظلت فرق الأشاعرة في ظاهر الأمر موحدة متماسكة، إلا أن تطوراً كبيراً قد نشأ عند شيوخ هذه المدرسة بدأ بالأشعري نفسه، فالأشعري بعد خروجه من الاعتزال سلك طريقاً وسطاً بين السلف وأهل الاعتزال، ثم جاء الباقلاني والأسفرائيني والبغداد والجويني والغزالي والرازي، والأيجي وغيرهم من الأشاعرة وطوروا آراء مذهبهم العقدي بطريقة اختلفت تماماً عما جاء به معلم الأول "أبو الحسن الأشعري". لعل الردود بين أصحاب الفرقة الواحدة أقسى في حديثها من الردود التي وجهوها لخصومهم الآخرين من أصحاب الفرق المختلفة.

١٤. أبو نصر الفارابي (٣٣٩هـ/٩٥٠م) هو محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ. ولد بفاراب ببلاد الترك فيما وراء النهر. كان الفارابي يتكلم الفارسية والعربية وينسب إليه معرفة سبعين لساناً. مصنفاته كثيرة منها ما هو شروح لفلسفه أفلاطون وأرسطوطاليس، كما له كتبه الخاصة مثل "أحصاء العلوم" و"كتاب الجمع بين رأيي الحكمين". كما له تصانيف في المنطق والموسيقى والسياسة والأخلاق. انظر ابن خلكان، وفيات الاعيان (٣٨٧/٤)، ابن كثير، البداية والنهاية (١٩٣/١١).

١٥. الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق عثمان أمين، دار الفكر العربي، مصر، طح ١٩٤٩، ص ١٠٧-١٠٨.

١٦. ابن خلدون (٨٠٨هـ/١٤٠٦م) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن. له مكانة فريدة في تاريخ الفكر الإسلامي وذلك لسعة علمه وأصالة تفكيره. اشتهر بالعلوم السياسية والاجتماعية والفقه واللغة، وهو قاضي المالكية بمصر. ومصنفاته كثيرة منها "المقدمة" و"كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" وله المحصل "وشفاء السائل". عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج ٢، مصدر سابق، ص ١١٩.

١٧. ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وإي، كتاب الشعب ص ٤٢٣.

١٨. محمد أعلى بن علي التهانوي، كشف اصطلاحات العلوم، الأوقست، بيروت، ص ٢٢، ٢٣.

١٩. عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، ط ٣، دار العلم للملايين، ص ٣٢.

٢٠. أقدم ما عندنا من وثائق تتعلق بعلم الكلام الرسالة المنسوبة إلى الحسن بن محمد بن الحنفية (٧١٧هـ/٧١٧م) المساه كتاب "الأرجاء" الكتاب منشور بكامله في J. Van Ess, Arabia,

- 20-52 pp 21, A, 74 وأيضاً رسالة في القدر للحسن البصري (١١٠هـ / ٧٢٨م) الفكر الأخلاقي العربي ، تحقيق ماجد فخري ، الأهلية للنشر ، ص ٢ - ٣٢.
٢١. التفقازاني ، شرح عقائد عضد الدين الأيحي.
٢٢. أبو حنيفة النعمان (١٥٠هـ / ٦٧٧م) ، هو النعمان بن ثابت التميمي، فقيه العراق دون منازع وأحد أئمة الإسلام الأربعة وساداته الأعلام، صاحب المذهب المعروف باسمه، روى عن جماعة من التابعين منهم: عكرمة (١٠٧هـ / ٧٢٥م) وعطاء بن أبي رباح (١١٥هـ / ٧٣٥م) والمحدث الزهري (١٢٤هـ / ٧٤٢م)، ونافع مولي ابن عمر (١١٧هـ / ٧٣٥م)، وروي عنه جماعة منهم ابنه حماد (١٧٦هـ / ٧٩٢م) وداود الطائي (١٦٥هـ / ٧٧٢م) ، ومحمد بن الحسن الشيباني (١٨٩هـ / ٨٠٥م) ، ووكيع (١٩٧هـ / ٨١٣م) وأبو يوسف القاضي (١٨٢هـ / ٧٩٨م). ابن كثير، البداية والنهاية ، (١٠ / ٨٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان ، (٤ / ٥٧٦ - ٥٨٥).
٢٣. الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ١، ص ١٧٠.
٢٤. الشريف الجرجاني ، المصدر السابق ، ص ٧٢.
٢٥. ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، المكتبة الثقافية ، بيروت ص ٢١ وما بعدها.
٢٦. البخاري، ٨٠ كتاب الدعوات ٦٨ ، باب لله مائة اسم غير واحد، موسوعة الحديث الشريف، الصحاح الستة، دار السلام للنشر ط ٤ ، الرياض ص ٥٣٩.
٢٧. الصفات الجمالية والجلالية، انظر الجرجاني ، التعريفات ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٦.
٢٨. وردت كلمة "نظر" ومشتقاتها واحد وثلاثون ومائة مرة في القرآن الكريم، انظر محمد فؤاد عبد الباقي، "المعجم المفهرس"، مصدر سبق ذكره ص ٨٧٦ - ٨٧٨ ، والكلمة وردت بعده معان:
١. النظر بمعنى الرؤية بحدقة العين وذلك كما في قوله تعالى : (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) سورة التوبة، الآية {١٢٧}
- ب. النظر بمعنى الانتظار وهو قوله (قَالَ انظُرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ} {١٤} قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ) سورة الاعراف الآية { ١٤ } { ١٥ } وكذلك قوله (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ} {٣٦} قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ) سورة الحجر {٣٦ - ٣٧} وقال تعالى (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ) سورة يس {٤٩}
- ت. النظر بمعنى التأمل والتفكير، وذلك في قوله (قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) النمل، {٤١}.

وكذلك قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ يَمْتَنَاهُمْ لِيَتَنَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا) الكهف الآية: {١٩} وقوله (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ {١٧} وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ {١٨} وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ {١٩} وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) سورة الفاشية: {٢٠}. (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ {٥} خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ {٦} يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) سورة الطارق: {٥- ٧}.

ث. النظر بمعنى الرحمة والعطف ، وذلك في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) سورة آل عمران الآية: {٧٧} وعن النبي (ص): "من جر ثوبه خيلاً لم ينظر الله إليه يوم القيامة" (البخاري، ٧٧ كتاب اللباس (٢) باب من جر إزاراً من غير خيلا).

٢٩. لقد وردت كلمة العقل بصيغة الفعل "يعقلون ، تعقلون ، يعقلها ، عقلوا ، علقوه ، نعقل ، كلها تشير للفهم والتدبر والإدراك والنظر والاعتبار والتأويل ، وردت الكلمة في صيغة الفعل تسع واربعون مرة في القرآن الكريم. انظر محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس (٥٩٤- ٥٩٥) منها قوله تعالى: (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) سورة البقرة الآية: {٧٥}. (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) سورة البقرة: الآية {٤٤}. وكذلك: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَبْصَارِ السَّعِيرِ) سورة الملك: الآية {١٠}. إن لفظ "عقل" لم ترد في القرآن اصلاً وورد بدلاً عنها لفظ "قلب". ذلك في قوله: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) سورة ق الآية: {٢٧}. وايضاً (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخَذْنَا مِنْهُ الطَّيْرَ فَصَرَّهْنَاهُ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجَعَلْنَا عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْأً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) سورة البقرة الآية: {٢٦٠} وكذلك قوله: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) سورة محمد : الآية {٢٤} فهي كل هذه الآيات ورد لفظ "قلب" بمعنى عقل.

٣٠. التفقه، وردت الكلمة ومشتقاتها عشرون مرة في القرآن الكريم، انظر محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس ، ص (٦٦٦- ٦٦٧) بمعنى واحد هو يفهمون: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) سورة الأسراء : الآية {٤٤}. انظر محمد فؤاد عبد الباقي، "المعجم المفهرس" ص (٦٦٦- ٦٦٧).

٣١. التدبر: ورد اللفظ ومشتقاته أربع واربعون مرة في القرآن الكريم. محمد فؤاد عبد الباقي، "المعجم المفهرس" ص ٣٢١. وجاء اللفظ بعدة معان:

أ. التدبر بمعنى التهويل والخلق وذلك لقوله: (إِنَّ رَبُّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) سورة يونس: الآية {٣} وكذلك قوله تعالى: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) السجدة الآية: {٥}.

ب. التدبر بمعنى النظر و التأمل كما جاء في قوله تعالى: (أَهْلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ) سورة المؤمنون الآية: {٦٨} وقوله: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ) سورة ص الآية: {٢٩}.

ت. تدبر: بمعنى الخلف، كما جاء في قوله تعالى: (وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) {٢٥} قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} {٢٦} وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ} {٢٧} فَلَمَّا رَأَى قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مَن كَذَبَكَ إِنَّ كَذِبَكَ عَظِيمٌ} سورة يوسف الآية: {٢٨}.

٣٢. التفكير: الفعل "فكر" ومشتقاته وردت في القرآن العظيم ثمان عشرة مرة، وكلها بمعنى

الفهم، انظر محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس، ص ٦٦٧

٣٣. المحلي والسيوطي: تفسير الجلالين، المكتبة التوفيقية، ص ١٣٣.

٣٤. المصدر السابق، ص ٥٦٢.

٣٥. الجرجاني، التعريفات، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٥

٣٦. المصدر السابق، ص ٥٦٢.

٣٧. انظر هامش ٨٤.

٣٨. ابن حزم، التقریب لحد المنطق والمداخل إليه، تحقيق احسان عباس، مكتبة الحياة،

بيروت، ص ١٨٠.

٣٩. الجرجاني، التعريفات، ص ١٥٤.

٤٠. أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ/١١١١م) هو محمد بن محمد الغزالي المشهور بحجة الإسلام،

الأصولي، الأشعري العقيدة، الشافعي المذهب، قاض الباطنية والفلاسفة. صاحب "إحياء علوم الدين" و"تهافت الفلاسفة" و"المستقصى في أصول الفقه" و"المنقذ من الضلال" انظر ابن خلكان، وفيات

الأعيان (٥٨/٤ - ٦١)، ابن كثير، "البداية والنهاية"، (١٢/١٤٩).

٤١. أبو حامد الغزالي، ميزان العمل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٣٣٧.

٤٢. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة،

ط٣، ١٩٩١م. ص ٥٩٤ - ٥٩٥. لقد وردت هذه الاشتقاقات ٤٦ مرة في القرآن الكريم.

٤٣. محمد السيد الجلندي، منهج الإمام الجويني بين الأشعرية والسلفية- البحوث المقدمة

للكري الأفنية لإمام الحرمين الجويني، نشر جامعة قطر ١٩٩٩م ص ٢٧٥.

٤٤. التأويل في اللغة في أول، يؤول تأويلاً وهي من آل الشيء إلى كذا أي رجع إليه، والتأويل

هو التفسير- المرجع والمصير، وذلك مثل قوله: (قَالُوا أَضُنُّوا أَحْلَامَ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ

بِعَالَمِينَ) سورة يوسف الآية: {٤٤} - أي بتفسيرها.

أما التأويل في الاصطلاح هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجويز من تسمية الشيء بشبيهة أو سببه أو لاحقه أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء التي تعورفت في أصناف المجاز الكلامي. وعند الغزالي، التأويل هو احتمال يعضده دليل يصير به أغلب علي الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر "المستصفي في أصول الفقه" (١٥٧/١) وعند فخر الدين الرازي "هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معناه المرجوح مع قيام الدليل القاطع علي أن ظاهره محال "أساس التقديس"، ص ٢٢٢.

٤٥. إمام الحرمين الجويني، الإرشاد، ص ٣٦٠.

٤٦. فخر الدين الرازي، أساس التقديس، ص ٢١٠ - ٢١١ وبمثله قال أبي حامد الغزالي "في المستصفي"، (١٣٧/٢ - ١٣٩).

٤٧. يقصد بآيات الصفات، هي الآيات التي بها صفات البارز تبارك تعالي وهي عند المتكلمين تنقسم إلى صفات عقلية مثل القدرة والإرادة والعلم وصفات خبرية أو سمعية وهي ما كان طريقة إثباتها الكتاب والسنة وذلك كالوجه واليد والعين.

٤٨. الجويني، الإرشاد، ص ١٥٥.

٤٩. لقد لاحظ الباحثون إن إمام الحرمين لا يتقيد في كتاباته عن العقيدة أو الفقه بشيوخه السابقين لا بالأشعرية في العقيدة ولا بالشافعية في الفقه، وإنما يتكلم حسبما يراه نظره واجتهاده انظر "أبرهان" لأبي المعالي الجويني تحقيق عبد العظيم الديب.

٥٠. الجويني، الإرشاد، ص ٤١ - ٤٢.

٥١. الإمام أحمد بن حنبل (٢١٤هـ/٨٥٥م) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، إمام المتحدثين، صنف كتابه "المسند" وجمع فيه من الأحاديث ما لم يتفق لغيره وقيل أنه كان يحفظ ألف ألف حديث، انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٨٧/١ - ٨٩).

٥٢. أحمد بن أبي دؤاد، (٢٤٠هـ/٨٥٥م) هو أبو عبد الله أحمد بن فرح المعروف بابن أبي دؤاد، قاضي الدولة العباسية في زمن المأمون (٢١٨هـ/٨٣٣م) والمعتصم (٢٢٧هـ/٨٤١م) والواثق (٢٣٢هـ/٨٤٧م). أخذ الاعتزال عن إبراهيم بن سيار النظام (٢٣٠هـ/٨٦٩م) وفي عهده جرت محاكمة خلق القرآن المعروفة بمحنة خلق القرآن التي أجبر فيها خصوم المعتزلة الاعتقاد بأن القرآن مخلوق. انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١٠١/١ - ١٠٢).

٥٣. ابن كثير: البداية والنهاية (٢٨٣/١٠).

٥٤. الشهرستاني (٥٤٨هـ/١١٥٣م) هو أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد. المتكلم على المذهب الأشعري. له "الملل والنحل" و"نهاية الإقدام في علم الكلام" و"مصارعة الفلاسفة"، ابن خلكان وفيات الأعيان، (١٠١/٤ - ١٠٢).

٥٥. ابن الجوزي، تبليس إبليس، مكتبة الصفاء، ٢٠٠١م، ص ٩٧.

٥٦. أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق عبد الحليم محمود - دار المعارف، ط ٤،

ص ٣٤٠.

٥٧. أبو حامد الغزالي، المصدر السابق، ص ٣٨٦ - ٣٨٧.

٥٨. الجرجاني ، التعريفات ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ٢٠٠٠م ، ص ١٢.
٥٩. الجرجاني ، المصدر السابق ، ص ٣٢.
٦٠. محمد بن بابكر عبدالقادر الرازي ، مختار الصحاح ، دار الحديث ، القاهرة ، ص ١١.
٦١. السيوطي والمحلي ، "تفسير الجلالين" ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ص ٣٧٣ ، ٥٦٤ وكذلك الزمخشري ، "الكشاف" ، مطبعة مصر ، الفجالة (٣٧٢/٣).
٦٢. الجرجاني ، "التعريفات" ، مصدر سابق ، ص ١٠٢ الغزالي: إحياء علوم الدين (٨٣/٣) دار الهادي ، بيروت.
٦٣. William Frankena , Ethics , Prentice Hall, Engle wood, Ciff,P. 62.
٦٤. أرسطوطاليس (٣٢٢ق م) أعظم فلاسفة اليونان علي الإطلاق وهو ابن نيكومachus الذي كان يعمل طبيباً في بلاط الملك أميناس الثاني. ولد أرسطوطاليس في أيونيا ومات الوالد بينما كان الابن يافعاً فتربي الولد علي يد وصية بروكسنس Proxenus. الذي أرسله إلى أكاديمية إفلاطون (٣٤٧ق م) بإثينا وظل أرسطوطاليس بالأكاديمية حتي وفاة أستاذة إفلاطون وخلفه مع آخرين علي رئاسة الأكاديمية ، ولكن سرعان ما شب خلاف بين الخلفاء في إدارة الكلية فغادر أرسطوطاليس الأكاديمية. في عام (٣٤٢ق م) قبل أرسطوطاليس عرضاً بالتدريس والإشراف علي الأسكندر بن قليب الثاني ملك مكدونيا ، وعرف الاسكندر لاحقاً بلقب الاسكندر الأكبر أو بذي القرنين. وفي (٣٣٥ق م) عاد أرسطوطاليس إلى اثينا حيث افتتح مدرسة جديدة ولكن بموت الاسكندر الأكبر كان الحكيم اليوناني تحت ملاحقة المناوئين للملكة المكدونية مما عجل بمغادرة أرسطوطاليس لاثينا إلى مدينة جاكس Jacks تاركاً المدرسة لتلميذة ثيوفراسطس Theophrastus (٣٧١ - ٢٨٦ق م). ومات أرسطوطاليس في السنة التالية وكان عمره اثنتين وستين عاماً. انظر G.B. Kerfered, Aristotle, Encyclopedia of Philosophy, Vol.1,ed. Paul Edwards, pp,151-162
٦٥. سبق ترجمته هامش ١٤.
٦٦. ابن سينا (٤٢٨هـ / ١٠٣٧ م) هو الحسن بن عبد الله بن سينا المشهور بالشيخ الرئيس. كان بارعاً في الطب في زمانه كان أبوه من أهل بلخ وانتقل إلى بخاري واشتغل بها. قرأ ابن سينا القرآن واتقنه وهو ابن عشرة سنين واتقن الحساب والجبر والمقابلة وأقليدس والمجسطي ثم اشتغل على أصحاب علي الناطلي فبرع فيه وفاق أهل زمانه ، وتردد الناس إليه واشتغلوا عليه وهو ابن ست عشرة سنة. وقد عالج بعض الملوك السامانية وهو الأمير نوح بن نصر فأعطاه جائزة سنية. قال ابن خلكان أن لابن سينا نحو مائة مصنف صغار وكبار : منها "النجاة والشفاء" و"الأشارات والتبهمات" و"حي بن يقظان" و"القانون" في الطب والكتاب الأخير ظل مرجعاً علمياً في الطب حتى القرن السابع عشر الميلادي. انظر ابن خلكان وفيات الأعيان (١٣٣/٢ - ١٢٨) ، وابن كثير ، البداية والنهاية (٢٨/١٢).
٦٧. ابن مسكويه (٤٢١هـ / ١٠٣٠م) هو أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب بمسكويه الخازن ، الرازي الأصل. مصنفاته كثيرة منها: "الفوز الأكبر" ، و"الفوز الأصغر" ، "تجارب الأمم" ، "ترتيب العادات" ، "آدب العرب والفرس" ، "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق" ، "كتاب الطهارة" ، رسالة

في "ماهية العقل" "الحكمة العملية". انظر عمر رضا كحاله ، معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة (٣٠٣/١).

٦٨. الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ/١١٠٩م) هو الحسين بن محمد المفضل ، أديب ، لغوي ، حكيم ومفسر له التصانيف الكثيرة منها "تحقيق البيان في تأويل القرآن" ، "الزريعة إلى أحكام الشريعة" ، "مفردات ألفاظ القرآن الكريم" ، "تفصيل النشاطين ، وتحصيل السعادتين" ، "جامع التفاسير" ، درة التفاسير وقررة التأويل وغيرها من الكتب المفيدة انظر عمر رضا كحاله معجم المؤلفين (٦٤٢/١).

٦٩. سبق ترجمته ، في هامش ٤٠.

٧٠. انظر هامش (٦٢). سابقاً.

٧١. ماجد فخري ، الفكر العربي الأخلاقي ، الجزء الأول- الفقهاء والمتكلمون ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ص ٩.

٧٢. عبد الله بن المقفع (١٤٢هـ/٧٥٩م) ، فارسي الأصل مجوسي العقيدة ، اعتنق الإسلام في خلافة أبي جعفر المنصور (١٥٦هـ/٧٩٤م) . صاحب الفضل في ترجمة "كليه ودمنه" من اللغة البهلوية إلى اللغة العربية ، كما ترجم أيضاً "تاريخ ملوك القرس" و "كتاب التاج" و "سيرة أنوشروان" كذلك ترجم ابن المقفع أو ابنه محمد -كما تروي المصادر المختلفة بعض كتب أرسطوطاليس المنطقية مثل "المقولات" و"العبارة" و"البرهان".

انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، (٧٨/١٠) ، وماجد فخري ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٢٨ - ٢٩.

٧٣. أبو الحسن العامري (٣٨١هـ/٩٩٢م).

٧٤. أبو الفرج بن هندو (٤١٠هـ/١٠٢٩م) هو علي بن الحسين بن هندو البغدادي ، طبيب وحكيم ، أديب ، كاتب وشاعر ، توفى بجرجان. من تصانيفه "مفتاح الطب" المقالة المشوقة في المدخل إلى علم الفلسفة "الحكم الروحانية في الحكمة اليونانية" و "كتاب النفس". انظر عمر رضا كحاله ، معجم المؤلفين (٤٣٦/٢).

٧٥. أبو سليمان السجستاني (٣٩١هـ/١٠٠٠م) هو محمد بن طاهر بن بهرام وله من الكتب "مقالة في مراتب قوى الإنسان وكيفية الأذذارات التي تنذر بها النفس مما يحدث في عالم الكون" انظر ابن النديم ، الفهرست ، المكتبة التوفيقية ، ص ٣٦٣.

٧٦. مبشر بن فاتك (٤٨٠هـ/١٠٨٧م) من علماء مصر وعظمائها ، اشتغل في الهيئة والعلوم الرياضية والحكمة وصناعة الطب والأخبار والتواريخ. من تصانيفه: "سيرة المستنصر" و "الوصايا والأمثال" و "الموجز في محكم الأقوال" و "مختار الحكم ومحاسن الكلم" ، انظر عمر رضا كحاله ، معجم المؤلفين (١٤/٢) ، ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء (٩٨/٢ - ٨٨).

٧٧. سقراط (Socrates) (٤٧٠ - ٣٩٩ ق.م) هو الحكيم الزاهد من أهل أثينا. ولد من أب يمتن صناعة التماثيل وأم قابلة ، كان ذا خلق كريم وعقل راجح وكان مع هذا يعلن أنه لا يعرف شيئاً وليس حكيماً ولكنه فيلسوف محب للحكمة. عرف عند مؤرخي الفلسفة بأنه أنزل الفلسفة

من السماء إلى الأرض ، أي من مباحث النجوم والأفلاك إلى المباحث التي تخص الإنسان. اتبع في الفلسفة أسلوب الحوار القائم علي الاستقراء Induction والتعريفات الكلية التي تولد النتائج من المقدمات لذلك كان يقول أنه يولد الأفكار مثلما تولد أمه النساء. شارك السفسطائيين (Sophists) رغم أنهم غرماؤه بالاهتمام بالإنسان وخالفهم في أن جعل قيمة الأشياء مطلقة (Absolute). حكم علي سقراط بالموت لأنه أفسد الشباب ولمخالفته عبادة الأوثان. حاول تلاميذه تدبير هروبه من السجن ولكنه رفض وشرب السم. الشهرستاني الملل والنحل، ص ٣٩٣ - ٤٠٤ ، L.G. Kidd, Socrates, Encyclopedia of philosophy, Vol, 7, ed. Pual Edwards , pp 480 - 488

٧٨. إفلاطون (Plato)(٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م) ولد بأثينا ، هو تلميذ سقراط وإستاذ أرسطوطاليس . أول من أنشأ الأكاديمية بأثينا وخلفه أرسطوطاليس عليها ، كتب فلسفته في ثلاث وثلاثين محاضرة منها محاضرة الدفاع Apology فيها اعتذار لسقراط عما فعله اليونانيون به. أسس قواعد المعرفة علي المثل (Ideals) التي عرفت فلسفته بها. الشهرستاني، الملل والنحل ، ص (٤٠٥ - ٤١٥) ، G.Ryle , Plato, Encyclopedia of Philosophy, Vol , 7, ed. Paul Edwards , pp 314-333

٧٩. هرمس ويعد من الأنبياء الكبار ويقال: هو إدريس النبي عليه السلام وهو الذي وضع أسماء البروج والكواكب السيارة ورتبها في بيوتها، انظر الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص ٣٤٥ .
٨٠. كسرى ملك دولة فارس.

٨١. أبو الوفاء ميثربن هاتك ، مختار الحكم ومحاسن الكلم ، بدون ، ١٩٥٨م ، ص ٢.
٨٢. عبد الجبار بن أحمد الهمداني (٤١٥هـ/١٠٢٥م) هو الذي تلقبه المعتزلة قاضي القضاة. كان في بداية أمره يذهب في الأصول مذهب الأشعري وفي الفقه مذهب الشافعي. درس العلم علي ابن إسحق إبراهيم بن عياش وعلي أبي عبد الله الحسين البصري (٣٦٩هـ/٩٩٠م) وخلفهما في رئاسة المذهب. استدعاه الصاحب بن عباد (٣٨٥هـ/٩٩٥م) إلى الري وعينه قاضياً للقضاة ثم حرمه المنصب. عمر كثيراً ومات عن عمر ناهز التسعين. له المؤلفات القيمة منها "المغني في أبواب التوحيد والعدل" أكبر دائرة معارف متوفرة في علم الكلام الإسلامي. وله "شرح الأصول الخمسة" و"فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة" والكتب الكثيرة القيمة. انظر السمعاني، "الأنساب" (١٤٠/١ - ٤١) ، السيوطي ، طبقات المفسرين ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان (٣٩٨/٤) ابن كثير، البداية والنهاية (٢٥٥/ ١١)

٨٣. الماوردي (٤٥٠هـ/١٠٨٥م) هو علي بن محمد بن حبيب ، أقضي القضاة ، إمام المدرسة الشافعية في زمانه ، صاحب "آدب الدنيا والدين" و"الأحكام السلطانية" و"الحاوي" ، له المصنفات في الأصول والفروع والتفسير، انظر ابن كثير البداية والنهاية (٧٠/١٢) ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان (٢٤٧/٣).

٨٤. ابن حزم (٤٥٥هـ/١٠٦٣م) هو علي بن أحمد بن سعيد الفقيه الأصولي ، الأديب ، إمام أهل الظاهر وعبقريه الأندلس ، صاحب "المحلي" و"الأحكام" و"الفصل في الملل والأهواء والنحل" وطوق

الحمامة في الألفة والإيلاف، انظر ابن كثير البداية النهاية، (٧٩/١٢) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، (٣٩٣/٢ - ٣٩٤).

٨٥. الجويني (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، عالم خراسان بلا منازع وشيخ الأشاعرة في زمانه. صاحب "البرهان" في أصول الفقه و"الإرشاد" و"الشامل" في العقيدة والغياثي و"العقيدة النظامية" و"نهاية المطلب في دراية المذهب" انظر ابن كثير، البداية والنهاية (١١٠/١٢ - ١١١)، ابن خلكان، وفيات الأعيان (١٤١/٣ - ١٤٤).

٨٦. فخر الدين للرازي (٦٠٦هـ/١٢١٠م) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التميمي الطبرستاني، الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي ويابن خطيب الري، مفسر، متكلم، فقيه أصولي، حكيم أديب، شاعر، مشارك في كثير من العلوم الشرعية والحكمة والرياضية. له نحو من مائتي مصنف منها "مفاتيح الغيب" في تفسير القرآن، المعروف بالتفسير الكبير، الباحث الشرقية، الأربعين في أصول الدين و"المطالب العالية" نهاية الإيجاز في دراسة الأعجاز و"المحصول في علم الأصول" وغيرها من الكتب المفيدة، انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان (٦٠٠/١ - ٦٠٢)، ابن كثير، البداية والنهاية (٥٥/١٣ - ٥٦).

٨٧. حنين بن إسحق (٢٥٩هـ/٨٧٣م) أبرز شخصية في تاريخ ترجمة العلوم والفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية وهو تلميذ ابن ماسوية (٢١١هـ/٨٢٦م). أقام حنين الترجمة على أساس علمي محكم وتولي رئاسة بيت الحكمة الذي أنشأه الخليفة المأمون بن هارون الرشيد. ترجم حنين ومجموعته المكونة من ابنه إسحق، وابن أخته حبيش وتلميذه عيسى بن يحيى - المجموعة الأرسطوطاليسية كاملة وكذلك كتب أبقراط وجالينوس الطبية. انظر ماجد فخري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص ٣٢ - ٤١، ابن كثير: البداية والنهاية، (٣٢/١١) ابن خلكان، وفيات الأعيان (٢٠٩/١ - ٢١٠) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٣٥.

٨٨. دار الحكمة بيت علم أنشأه الخليفة المأمون بن هارون الرشيد في العام (٢١٥هـ/٨٢٠م) وجعل منه مؤسسة رسمية ومكتب للترجمة والبحث. طلب الخليفة المأمون كتب الروم وتم نقل التراث الفلسفي والعلمي اليوناني إلى اللغة العربية برئاسة يحيى بن ماسوية وحنين بن إسحق ومجموعته وقسطا بن لوقا البعلبكي. انظر ابن النديم الفهرست، ص ٣٣٤ - ٣٣٨.

٨٩. الخليفة المأمون بن هارون الرشيد (٢١٨هـ/٨٣٣م) سابع الخلفاء العباسيين، أعظم راع للفلسفة والعلم في تاريخ الإسلام. يذكر ابن النديم في فهرسه حادثة يعتبرها عاملاً حاسماً حمل المأمون على الحصول على المؤلفات الفلسفية اليونانية. وذلك أن المأمون رأي في منامه رجلاً أبيض اللون مشرباً بجمرة، واسع الجبهة، مقرون الحاجب، أجلك الرأس، أشهل العينين، حسن الشامل، جالس على سرير، قال المأمون: وكان بين يديه قد ملئت له هيبة فقلت من أنت؟ قال: أنا أرسطوطاليس فسررت به وقلت: أيها الحكيم أسألك؟ قال: سل، قلت ما الحسن؟ قال ما حسن في العقل، قلت: ثم ماذا؟ قال: ما حسن في الشرع، فقلت: ثم ماذا؟ قال: ما حسن عند الجمهور قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم لا ثم ! وفي رواية أخرى: قلت زدني: قال من نصحك في الذهب فليكن عندك كالذهب

وعليك بالتوحيد، فكان هذا المنام من أؤكد الأسباب في إخراج الكتب. فإن المأمون كان بينه وبين ملك الروم ومراسلات، وقد استظهر عليه المأمون فكتب إلى ملك الروم يسأله الأذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر، وابن البطريق وسلما صاحب بيت الحكمة وغيرهم فآخذوا مما وجدوا، ما اختاروا فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل، ابن النديم، الفهرست، ص ٣٣٤ - ٣٣٥.

٩٠. الكندي (٢٥٣هـ/٨٦٦م) هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح، ولد بالكوفة وكان والده أميراً عليها. حظي الكندي برعاية الخليفين المأمون والمعتصم العباسيين وفقد هذه الحظوة في خلافة المتوكل (٢٣٢هـ/٨٤٧م) وينسب الكندي إلى الاعتزال إلا أن المعتزلة لم يضمنونه في طبقاتهم ولكن رسائله العلمية تشبه وتشهد عناوينها علي تأثره الواضح بمذهب المعتزلة وذلك مثل رسالة "أن أفعال البارئ جل اسمه كلها عدل لا جور فيها" ورسالته "في التوحيد". التزم الكندي روح الشريعة الإسلامية ووقف مع آراء المتكلمين المسلمين وخالف الفلاسفة اليونانيين في مسألة "حدوث العالم" وإن الحقيقة المنزلة تفوق الحكمة الإنسانية (الفلسفة)، ودافع عن معتقدات الدين كحشر الأجساد وحدوث المعجزات وصحة الوحي وغيرها من عقائد الدين الأساسية مما جعل بعض المؤرخين يرى أن الكندي أقرب إلى التيار الكلامي من التيار الفلسفي. ومؤلفات الكندي كثيرة ولكنها فقدت ولم يبق له إلا ما جمعه د. محمد عبد الهادي أبو ريدة وسماه، "رسائل الكندي الفلسفية". والكندي من حذاق الترجمة وقد ترجم له عبد المسيح بن ناعمة الحمصي "كتاب الريوية" المنسوب خطأ إلى أرسطوطاليس. انظر عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين (١٢٥/٤ - ١٢٦).

٩١. أبو بكر الرازي (٢٨٣هـ/٩٢٥م) هو محمد بن زكريا الرازي تشد إليه الرحال في فتونه وامام وقته في الطب. صاحب الكتب النافعة منها: "الحاوي" و"الجامع" و"الأعصاب" و"المنصوري" ترجمت كتبه الطبية إلى اللغة اللاتينية وظلت المراجع العلمية في هذا المجال حتي القرن السادس عشر الميلادي. انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٣٩٠/٤ - ٣٩٣).

٩٢. يحيى بن عدي (٢١٨هـ/٨٣٣م) النصراني اليعقوبي المترجم لكتب الفلسفة إلى اللغة العربية. وهو تلميذ أبي بشر متي بن بونس وأبي نصر الفارابي. له الفضل في ترجمة كتب أرسطوطاليس المنطقية ولشهرته في هذا المجال عرف بالمنطقي. ترجم يحيى بن عدي "كتاب الشعر" و"وما بعد الطبيعة" لأرسطوطاليس و"كتاب النواميس" لأفلاطون، انظر ماجد فخري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص ٣٧ - ٣٨، ابن النديم، الفهرست، ٣٦٢ - ٣٦٣.

٩٣. الحارث بن أسد المحاسبي (٢٤٣هـ/٨٥٧م) مؤسس مدرسة بغداد الصوفية وهو أول سني صوفي تأكدت ثقافته الواسعة في علم الكلام. له من المؤلفات "الرعاية لحقوق الله" و"أدب النفوس" و"العقل وفهم القرآن" ابن خلكان ، وفیات الأعيان (٤٥/٢ - ٤٦).

٩٤. ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ/١٣٥٠م) هو شمس الدين بن محمد بن أبي بكر هو تلميذ ابن تيمية (٧٢٨هـ/١٣٢٨م) وأستاذ ابن كثير (٧٧٤هـ/١٣٧٢م) المؤرخ المفسر المشهور. ابن القيم الجوزية من مشاهير السلف له المؤلفات الكثيرة: "مدارج السالكين بين منازل أياك نعبد وإياك نستعين" و"طريق الهجرتين" و"زاد المسافر" و"الصواعق المرسلة علي الجهمية المعطلة" و"إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان" انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، (١٩٨/١٤ - ٢٠٠) عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين (١٦٤/٣ - ١٦٥).

٩٥. دي بور ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو رييدة ، ص ١٥.

٩٦. تفاسير الفرق للقرآن الكريم تعرف عن المفسرين بالتفسير بالرأي منها: "تفسير الرازي المسمي" مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير" وتفسير البيضاوي المسمي "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" ، وتفسير النسفي "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" ، ومن أشهر تفاسير المعتزلة تفسير جار الله محمود الزمخشري المسمي "الكشاف عن حقائق التنزيل في وجوه التأويل" ، كذلك تفسير أبي يوسف عبد السلام محمد القزويني (٤٨٨هـ/١٠٩٥م) صاحب التفسير الذي لم ير أكبر منه وهو في ثلاثمائة وأربعمئة أو سبعمائة مجلد كما تقول الروايات المختلفة.

٩٧. ذكر ابن خلدون أن أحسن ما كتب في أصول الفقه هي كتب أصحاب الفرق منها: كتاب "العمد" للقاضي عبد الجبار و"شرحه المعتمد" لأبي الحسين البصري وهما من المعتزلة. "البرهان" للجويني ، و"المستضي" للغزالي وهما من الأشاعرة. انظر ابن خلدون ، "المقدمة" ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ص ٥٤٩.

٩٨. كتاب "المفني في أبواب التوحيد والعدل" للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني حققه مجموعة من المفكرين المصريين منهم د. إبراهيم مذكور وطه حسين وأحمد فؤاد الأهواني وغيرهم. والكتاب الذي هو أكبر موسوعة في علم الكلام مكون من عشرين مجلد ، إلا أن المجلد الأول والثاني والثالث والعاشر والثامن عشر والتاسع عشر مفقودة. ولأن التحقيق قد تم على عجل ولم يكن هنالك تنسيق بين المحققين الكثيرين الذين اشتركوا في إخراج الكتاب جاء عملهم مليء بالأخطاء والتصحيح ، وأنه لا بد من إعادة نشر هذا السفر القيم. انظر عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الإسلاميين ، ص ٣٨٢.

٩٩. القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني ، المغني في أبواب التوحيد والعدل ، المجلد السادس ، قسم التعديل والتجويز ، ص ٧- ٨.
١٠٠. يوجد اتجاه فلسفي غربي معاصر ينتقد محدودية المفردات الأخلاقية J.O. Urmson "Saints and Heroes" Essays in Moral Philosophy, American Philosophical Quarterly, 3.w4,1968,pp255-69.
١٠١. إن أول من أشار إلى هذه الأحكام الشرعية الخمسة هو أبو الحسين البصري (٩٤٨هـ/٩٤٨م) صاحب المعتمد في أصول الفقه (انظر الكتاب ص٨) وبما أن البصري تلميذ للقاضي كما سبق الإشارة بذلك فربما يكون القاضي هو أول من أدخل هذه الألفاظ قاموس الفقه الإسلامي.
١٠٢. عبد الجبار بن أحمد الهمداني ، المغني ، المجلد السادس ، قسم التعديل والتجويز ، ص ١٠.
١٠٣. عبد الجبار بن أحمد الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٦١.
١٠٤. لا يجوز الكذب عند القاضي حتي ولو كان الغرض منه إنقاذ شخص من الموت ، لأن الكذب من القبائح. قال القاضي: "وقوله أنه يحسن من الإنسان أن يقول لطالب دم المؤمن إذا سأله أهو في الدار أم لا؟ أن يقول ليس في الدار وإن كان كذباً ليخلصه من القتل لا يصح عندنا لأن ذلك قبيح منه والواجب عليه أن يخلصه بالتعريض Insinuation وما يجري مجراه ، وإما بالكذب فلا يحسن ، المغني في أبواب التوحيد والعدل ، المجلد السادس ، قسم الإدارة ، ص ٣٤٢. انظر التشابه الشديد في ضرب الأمثلة مع الفيلسوف الألماني كانت (١٧٢٤ - ١٨٠٤م) Kant, Critique of Pure Reason, ed: Bech, Chicago, 1968, pp346-50
١٠٥. القاضي عبد الجبار ، المغني ، المجلد السادس ، القسم الأول ، ص ٥٨.
١٠٦. القاضي عبد الجبار ، المصدر السابق ، ص ٨٤.
١٠٧. القاضي عبد الجبار ، المغني ، اللطف ص ٣٠١ .
١٠٨. القاضي عبد الجبار ، التعديل والتجويز ، ص ١١٨ ، ١٢٦.
١٠٩. إمام الحرمين الجويني ، الإرشاد ، ص ٢٥٨.
١١٠. إمام الحرمين الجويني ، المصدر السابق ، ص ٢٥٨.
١١١. إمام الحرمين الجويني ، المصدر السابق ، ص ٢٥٩.
١١٢. إمام الحرمين الجويني ، المصدر السابق ، ص ٢٦٠.
١١٣. البراهمة فرقه من الهندوس تنسب إلى إبراهيم أو إلى إبرام الذي ذكر في الفيدا - أحد كتبهم المقدسة ، وهو نظما ديني اجتماعي سياسي ومن أصوله تقسيم الأمة إلى طبقات أربع.
١١٤. إمام الحرمين الجويني ، المصدر السابق ، ص ٢٦٠.

-
١١٥. السيوطي ، صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام ، ص ١٥.
١١٦. ابن الصلاح الشهرزوري ، فتاوي ابن الصلاح، القاهرة ، ص ٣٤ ، ٣٥
١١٧. انظر ابن رشد ، فصل المقال في تقرير ما بين الحكمة والشرعة من اتصال ، تحقيق جورج حوراني ، ص ٣٥.
١١٨. الغزالي ، المنقذ من الضلال، ص ٣٢٨ - ٣٢٩

